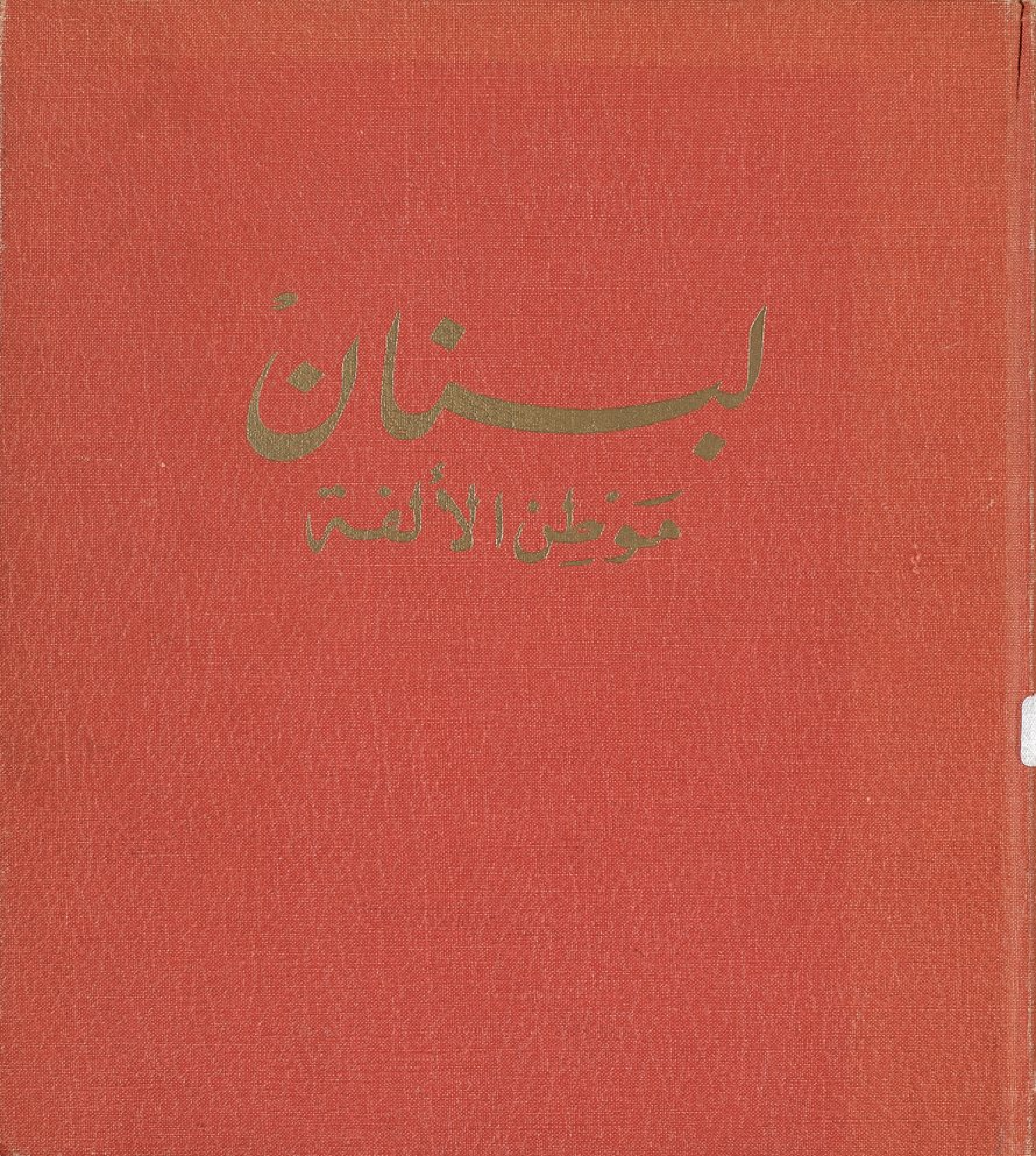

لبنان
موطن الألفة

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 079641146

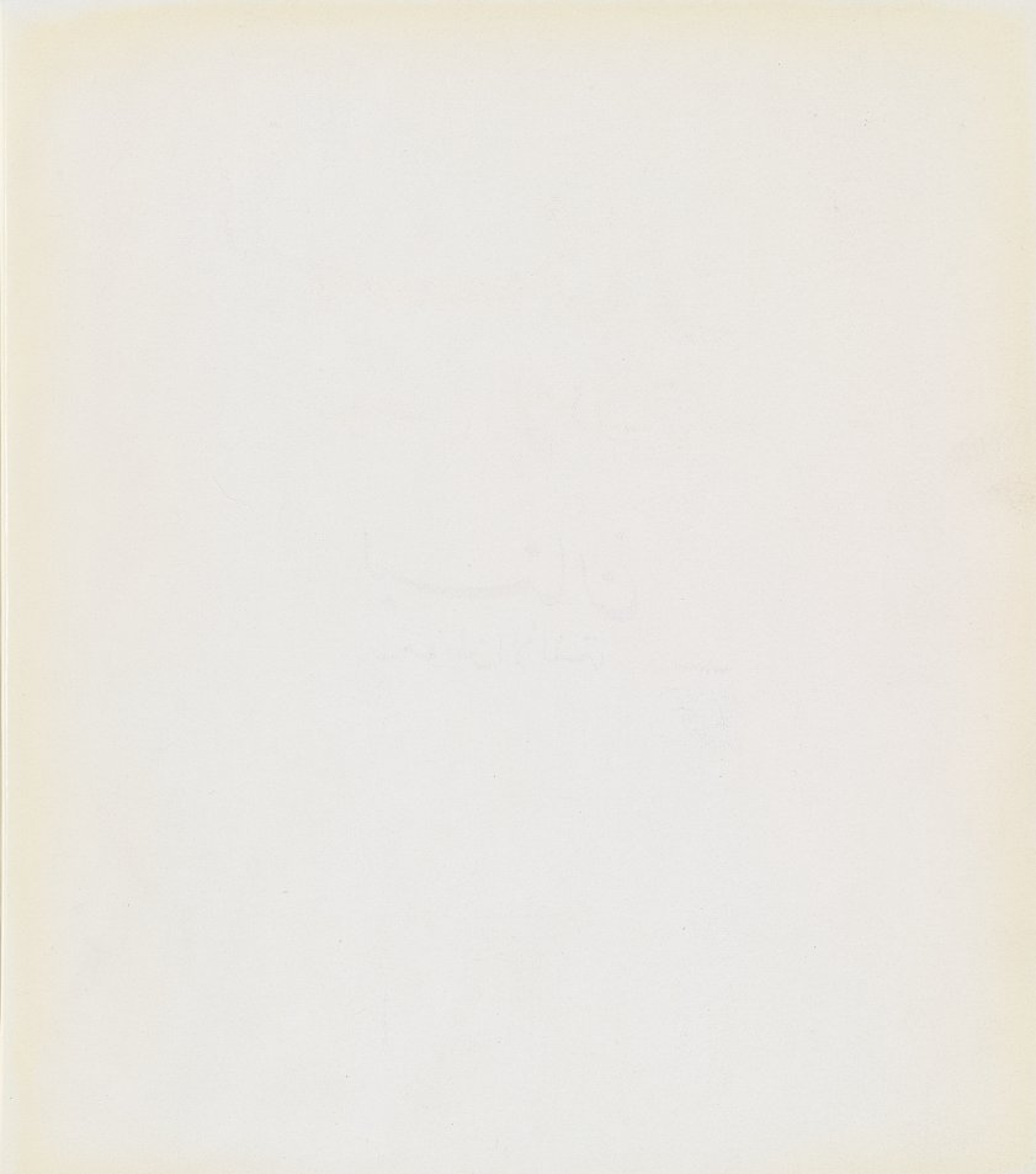


إلى اللبنانيين المغتربين
إلى كل صديق للبنان
وإلى جميع الذين يلتفتون بمودة
نحو هذه البلاد الجميلة.



لبنانُ

مَوْطِنُ الألفة



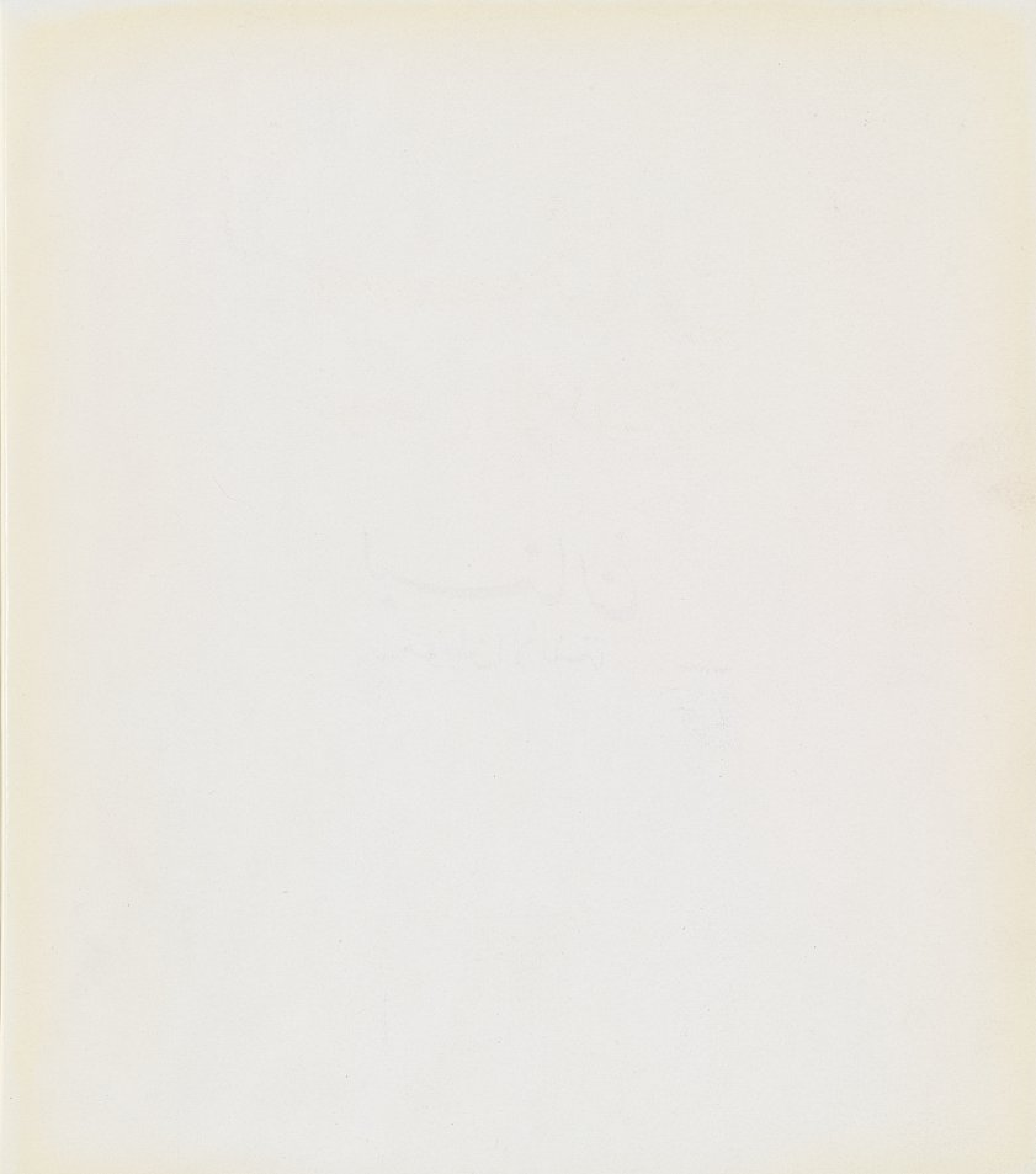
Lebanon.

Lubnān mawṭin al-ulfah

لبنان

موطن الألفة

منشورات
الآداب الشرقية
بيروت
١٩٤٨





صاحب الفخامة الشيخ بشارة خليل الخوري

رئيس الجمهورية



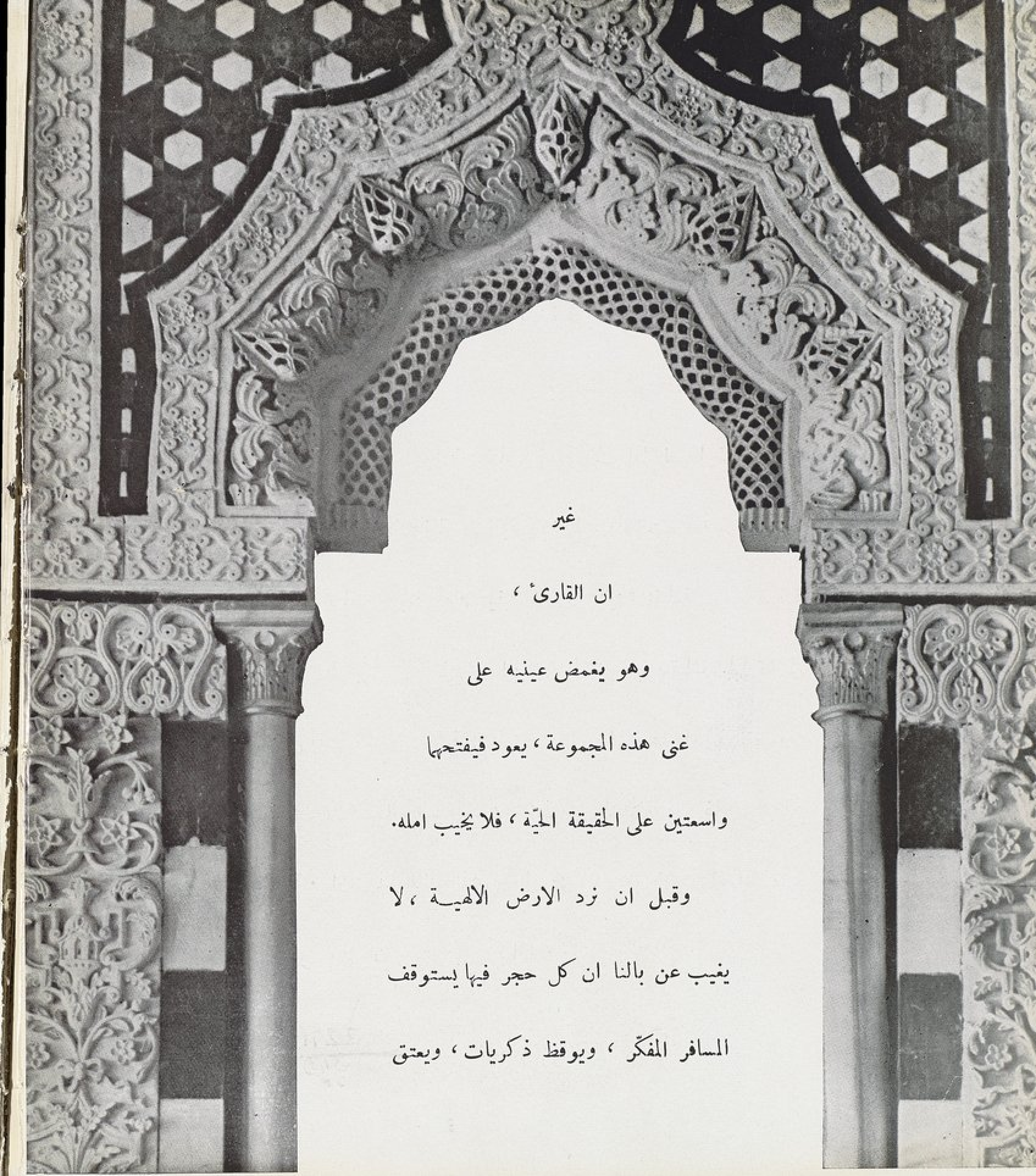
انتم تطأون ارضاً عرفت حضارة عريقة مزدوجة: الحضارة الغربية التي ورثت منها هذه الشطآن وتدعيها، والحضارة الشرقية الملأى بالجمالات والمدهشات. وهذه الارض تبسط الى كل منهما يداً لتضم الواحدة الى الاخرى، ولتستسيغ الخيّر الافضل من كلتيهما. وهكذا منارتنا، ترسل اشعتها الدوّارة نحو الشرق ونحو الغرب».

هذه الكلمات التي استقبل بها صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري، رئيس الجمهورية اللبنانية، منذ سنتين تقريباً، زائراً ممتازاً أمَّ لبنان، ألا يجدر ترديدها على الصديق المجهول الذي ينزل شواطئ لبنان سواء أمِنَ الشرق وَفد ام من الغرب، وإقراؤه اياها؟ أليست هي احسن اداة يُمهَّد بها لهذه الصور والمشاهد التي تودّ البلاد بواسطتها، وبعزّة فوّاحة ناعمة، لو تُعدّ زوّارها للتفاهم الودّي؟

ارض التضادّ وارض التماس. ارض من الشرق تقرب من اورشليم حتى كأنها تعكس اشعتها، وارض من آسيا قاهرة ومقهورة، وطئتها قوافل الرحالة الانسانية العديدة، ومنها، حديثاً، في القرن

التاسع عشر ، انبثقت حركة نهضة قوية لإحياء اللغة العربية .

ارض من الغرب ايضاً تنحو بكاملها نحو الابيض المتوسط حيث مخرت سفنها . ارض تتذكّر أنها كانت اماً لقرطاجة قبل ان تصبح قرطاجة رومانية ويونانية وبيزنطية . وانت ، اذا ما قلّبت هذه الصفحات ، تبرز امام عينيك صور عديدة مختلفة : من تكية دراويش طرابلس الى قلاع الصليبيين ، الى خرائب بعلبك الجبّارة ، الى نقوش بيت الدين ، وخيمة البدويّ ترسل ظلالها على اضواء القصور ، وجفاف الارض الكلسية تنقش خطوطها المنحنية على غلال البقاع الغنية . ان هذا البلد الذي يقال عنه انه صغير ، هو في الحقيقة اكبر من ان يستوعبه كتاب .



غير

ان القارئ ،

وهو يغمض عينيه على

غنى هذه المجموعة ، يعود فيفتحهما

واسعتين على الحقيقة الحيّة ، فلا يخيب امله.

وقبل ان نرد الارض الالهيـة ، لا

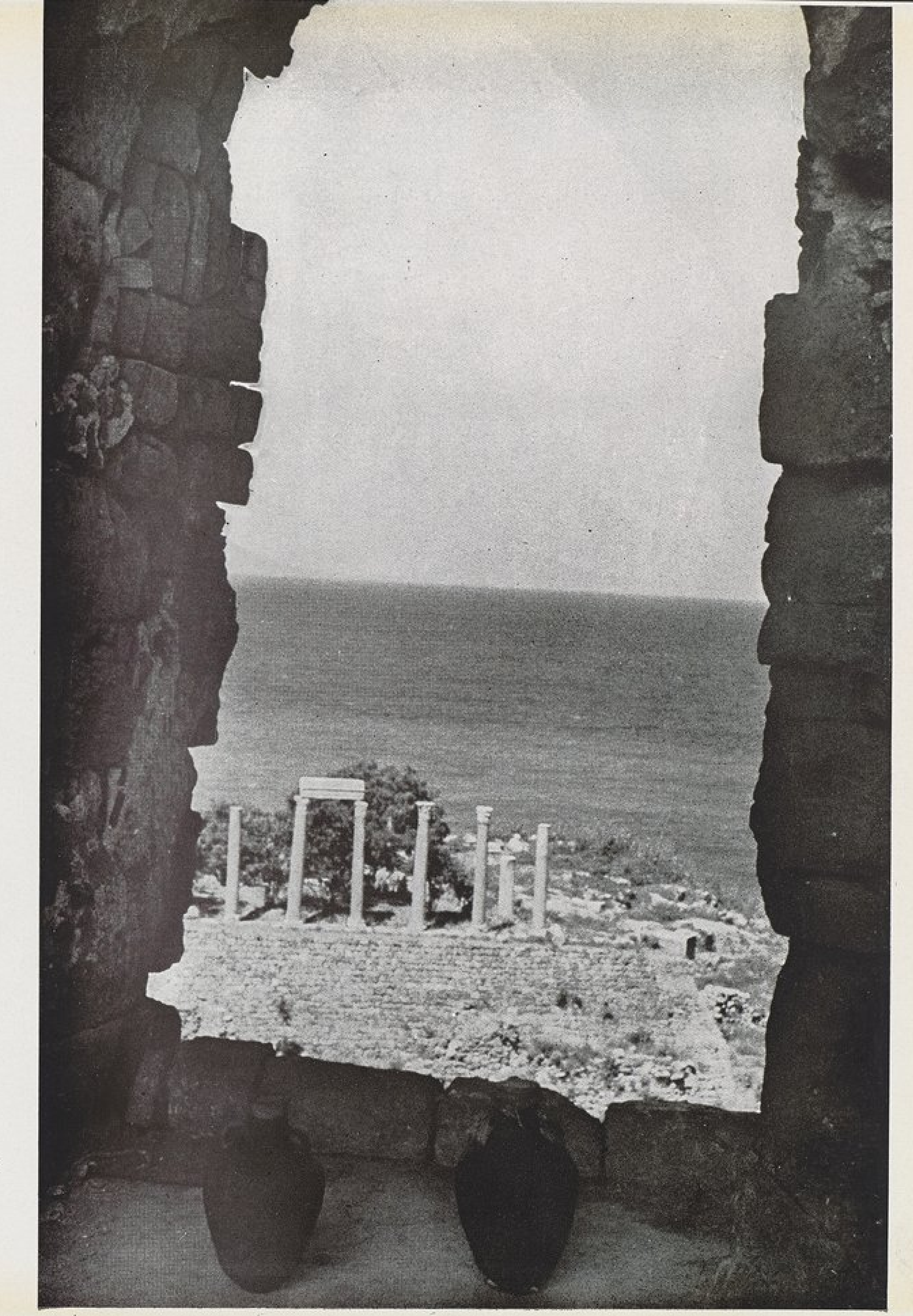
يغيب عن بالنا ان كل حجر فيها يستوقف

المسافر المفكّر ، ويوقظ ذكريات ، ويعتق

احلاماً ، ويعيد الى الذهن ماضياً عجيباً من الفتوحات والاساطير والعز والجمال. وهكذا ، سيراً على نصيحة (بلين) الذي يقول : « ان ذهبت الى هذه البلاد ، احترم آلهتها » ، فلنقدّم احترامنا قبل كل شيء للمعبد الحرام : بيبلوس (جبيل) ، يعيد الينا سحر ماضيه.

كتب بارس : « ها نحن نسير على البحر الهادئ ، عند اقدام الجبال وهي ترتدي ، تحت الشمس الازلية ، الظلال نفسها والانوار نفسها ، ملأى بالادعية الالهية. »





خرائب جبيل
كما تظهر من الحصن

مرفأ جبيل (بيبلوس) القديم

ظلال

وانوار ... وروح اوزيريس ترود دائماً هذه الشواطئ . وفي كل ربيع تعود ايزيس بلهبها ويأسها باكية بدون انقطاع حبها الالهي .

ولكن هناك اطيافاً اخرى الفناها اكثر من غيرها تتصاعد وتبرز امام اعيننا . ففي هذه البلاد ، التي كانت تنتقل من حصار الى فك حصار ، والتي أخضعت فلم تذل ، والتي اجتيحت مراراً ثم بنيت بنشاط ، ترى عظمة هذه الاطياف وشجونها ،مرتسمة على طول هذا الشط وقد بدلت معالمه الامواج ، وعلى كل بقعة من الارض الباسلة . فيا قلاعاً لا تزال قائمة ، ويا اسواراً تشهد على معارك الامس البعيد ، هل تعين حتى اليوم الأسماء المجيدة لنبلاء الفرنجة الذين آويتهم ؟ ويا ريمون دي صنجبل ويا غي دي جيبله ، هل تعودان احياناً الى هذه البقاع وقد كانت عزيزة على قلبيكما ؟



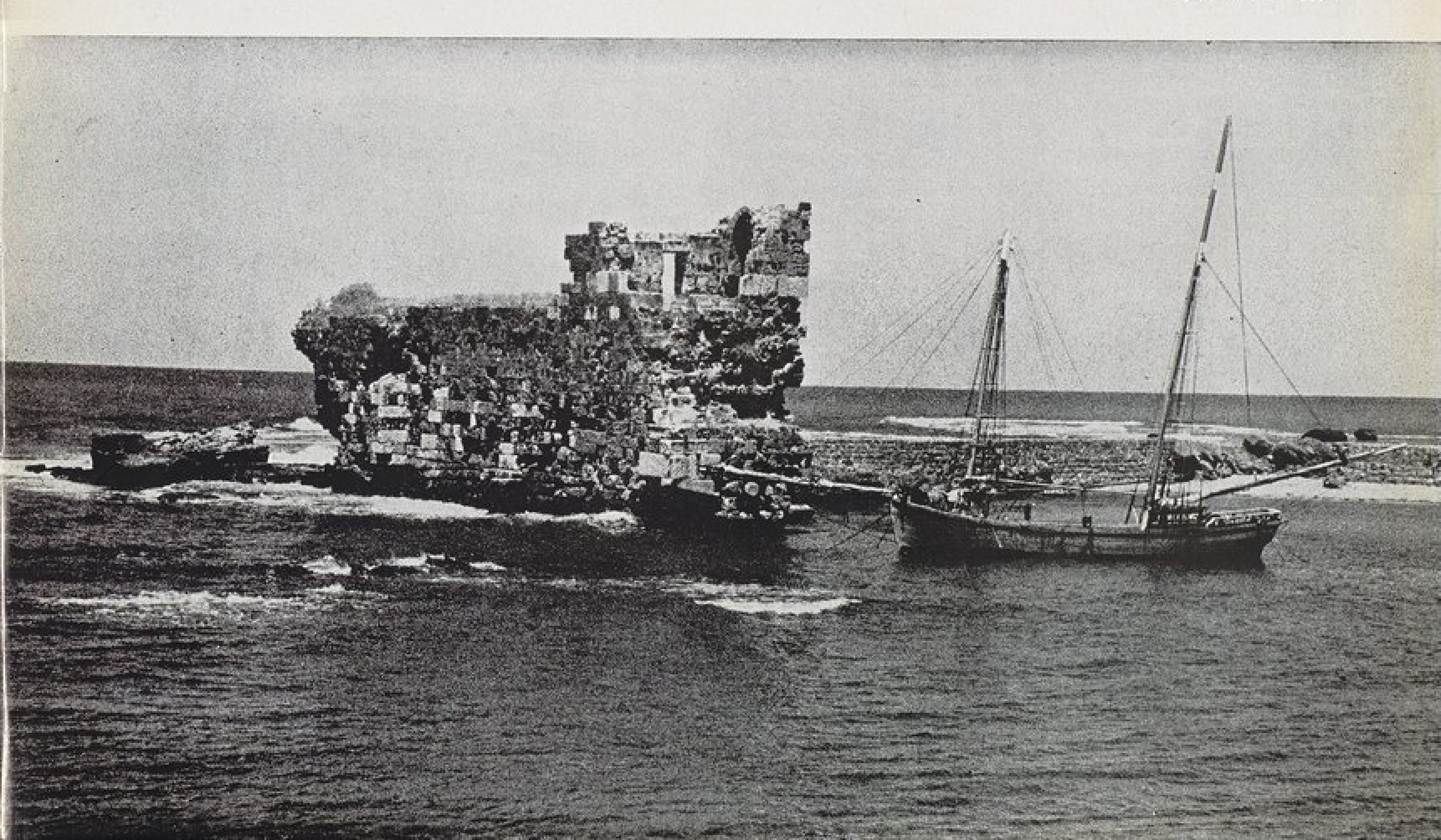
وتعود بنا الذكرى الى هاتيك الليلة التي ظللت ذهاب آخر هؤلاء الامراء ، تلك الليلة التي سجل صبحها نهاية حكم ، فترتسم في مخيلتنا قوافل من الخيالة تهرع بين العواصف ، منكفئة بسرعة نحو ملجإ صديق امين .

ها هي طرابلس ! فلتكن وقفة قصيرة عند السسترسيين في بلمند ، وديرهم يشرف بعظمته على الشاطئ. هو ميناء امان على طريق المنفى. ولكن هل يسرع الكونت دي تولوشه فيصل قبل فوات الاوان ؟

الكونت دي تولوشه ! منزل « الاميرة البعيدة » ! وكيف لا نتمثلها هي نفسها على قمة اعلى برج تندي وجهها برياح المساء ؟ جبين ساكن، مدار نحو البحر، تفتش في ابعاده . وهي تعيش في الانتظار منذ عدة اشهر .

ويعلن خبر قدوم جوفري ريدل ، امير بلاي . لقد تغنى بها قبل ان يتعرف اليها . « حبي للارض البعيدة يعذب فؤادي » . وكيف لا تجزع لهذا اللقاء ؟ اذ ، ما سيكون ظنه بها ؟ وماذا ستكون له ؟ هي تجهل من يرافقه . غير ان برتران دي بورن سيكون وحده مصيرها المؤلم .

جبيل ، تحصينات المرفأ





شبه جزيرة صور ومرفأها

يا قلاع الفرنجة ، المنتصبة على طول الشواطئ اللبنانية ، من يخبرنا باسرار حبك وعظمتك وموتك ؟ ان مئتي سنة من التاريخ ، عبر القرون ، شيء يسير حقاً . ومع ذلك ، فاي وقع واي اثر لك في مستقبل كل من الشرق والغرب ! . ها هي قلعة جبيل (بيبلوس) وقلعتا صيدا (صيدون) : قلعة البحر ، وهي قائمة على جزيرة موقوفة اساساً لملكرت ، هرقل فينيقيا الذي كان يكرم في معبد بني على اعمدة لم يبقَ منها اي اثر ، وقلعة المعز وقد رممها القديس لويس على قمة المدينة القديمة . وعلى بعد في الشمال ، قلعة صنجيل وهي حصن ريمون دي صنجيل يشرف على وادي طرابلس والمدينة والشاطئ . ولقد بقي الصليبيون متمركزين زمناً في هذه القلعة بعد ان اضطروا الى التخلي عن باقي قلاعهم . ولا يزال منها حتى اليوم آثار جليلة تشرف بعظمة على الشاطئ مع ما اصابها من حرائق عديدة ، ويتجلى من سطوحها منظر فخم على البحر وعلى اشجار ليمون السهل وسلسلة لبنان .

أنشئت هذه القلاع كلها تقريباً على هضبات تشرف على واد او على مجموعة من الاودية ، فتألفت منها لاصحابها ملاجئ منيعة . وابرز دليل على ذلك ان حصن عكار الذي سُلم للصليبيين بمعاهدة ، كلف بيبرس استرجاعه وارغام المحاصرين على الاستسلام حصاراً طويل الامد ومعدات حربية هائلة جلبت بصعوبات جمة الى هذا الميدان الوعر .

وفي الساحل ايضاً ، على بعد ثلاثة كيلومترات من البترون تبدو بوتريس القديمة ، قلعة صغيرة غامضة الاصل . وفي داخل البلاد ، القلعة التي لا شك في رجوع عهدها الى القرون الوسطى : قلعة سمار جبيل ، على بعد بضعة كيلومترات من اده . وابعد منها ، داخل الاراضي ، في الجنوب ، قلعة تبرون التي اسسهـا هوغ دي سانت اومير ، امير طبرية . انها لم تظل سوى زمن قصير في حكم الفرنجة . وبقاياها اليوم ، بطرازها العربي ، لا تحتفظ الا بقسم صغير من البناية الاصلية التي هدمها السلطان مالك المقدم سنة ١٢١٩ .

وغير بعيد من هذا المكان ، تطل قلعة الشقيف على قمة هضبة صخرية بشكل مثلث مستطيل وكأنها لا تقحم . غير انها كانت موضوع منازعات عنيفة . وبذل سلاطين صيدون، بعد ان عادت اليهم بالقسمة ، دماءهم ثمناً لحق المحافظة عليها . يشهد على ذلك الكونت رينو. فبعد ان قُبض عليه بالحيلة ، أتى به صلاح الدين الى أسفل قصره وعذب على مرأى من رجـاله . غير انه رفض بإباء ان يسلم الحصن ، حاضاً فرسانه ، وهو قيد العذاب ، على المقاومة .

صيدا ، قلعة البحر



صيدا (صيدون القديمة)

وعلى الرغم من سجنه في دمشق ، لم تضعف شجاعته . والجوع وحده اضطر جنوده الى الاستسلام.

ومن ابراج الشقيف ، يشمل النظر افقاً واسعاً . فجهة الشرق ، قمم الحرمون . وجهة الشمال ، سهل البقاع ولبنان . وجهة الجنوب ، انقاض قلعة تبرون المشرفة على تبنين . وجهة الجنوب الشرقي قلعة بانياس ، المعروفة بقلعة نمرود العربية ، التي كتب عنها المؤرخ غليوم الصوري ، وقد كانت موضوع قتال عنيف بين سلطان حلب وامراء تبنين . واذا مـا ذكرت سيطرة الفرنجة على هذه البقعة من الارض ، ذكر معها ما وليها من فتح عربي . واطل في الذاكرة اسما صلاح الدين وبيبرس الساحران ، مع ما رافق عهديهما من حصارات ومعارك وتدمير وانتصارات . اجل ! خرجت البلاد منهوكة من هذه المعارك ، غير انها موحدة تحت نظام فرد ساد حتى العهد العثماني ودام اطول من غيره . ولم يبق من هذا العهد غير القليل من الآثار : بعض خرائب رممت على عجلة ، وقلاع أصلحت بدون تصميم سابق ، وجوامع أقيمت مكان كاتدرائيات قديمة ، مثل الجامع العمري في بيروت ، وهو بناء ضخم كان قبلاً للاسبتاريين كنيسة باسم مار يوحنا المعمدان ، وجامع طرابلس الذي قام مقام كاتدرائية القديسة مريم للصليبيين .







اعمدة جبيل

جبيل ، مسرح ومدافن

كتبت

ميريام هاري : « افكر ، وانا جالسة بين الكنيسة القوطية القديمة والنخيل الموشوش ، بهذه الدور السورية الساحرة حيث يتمازج مخمل اوتريخت بنسيج طرابلس ، ودعة الفرنجة بحمية الشرقيين ، والرجاء المسيحي بالقدر الاسلامي . واني اتخيل التطوافات والحفلات والمباريات ، هذه الرواية من العبادة والتنعم والمغامرة التي جاء الغرب يعايشها في الشرق ، والتي لا يزال مسحوراً بها . »



جبيل : مدفن فينيقي

ولعل المولويّة ، اي تكية الدراويش الراقصين في طرابلس ، هي وحدها تجعلنا نتبين طراز هذا العهد العربي صافياً من كل وراثة سواه ، هذا العهد الذي اعطى افريقيا الشمالية واسبانيا بنايات من افخم العمار .

فقبابها العديدة ، ومنحنيات ابوابها ونوافذها ، وغرفة الرقص الكبيرة الجميلة فيها ، ومياهها العذبة تنساب في ظلال صفصافها : كل ذلك يعود بنا الى عهد جلال الدين الرومي في قونية ، مؤسس البدعة القائلة بان احسن طريقة للاتصال بالله هو الطواف حتّى التلاشي .

ونتصور الاناشيد التي كانت تنسق رقص الشاعر المتسامي فيصيح : « ايها الفلك الدوّار حول رؤوسنا بشكل حلقة تشوّقاً الى الشمس ، انك تمارس العمل الذي امارسه » . وكانت غايته في الحياة بلوغ مقام المحبة والوصول الى معرفة الله؛ وذلك برفقة احد الاصدقاء ، كشمس الدين مثلاً الذي ولد فقدانه في نفسه يأساً طويلاً ، او وحده . وهو القائل عند مغرب حياته : « لم اكن ادري ان جميع ما يرى وما لا يرى هو انت : انت في الاجساد وفي الارواح ؛ وكم رجوت آية منك في هذا العالم ، فاذا بي اعرف اليوم ان هذا العالم بكامله هو انت » .

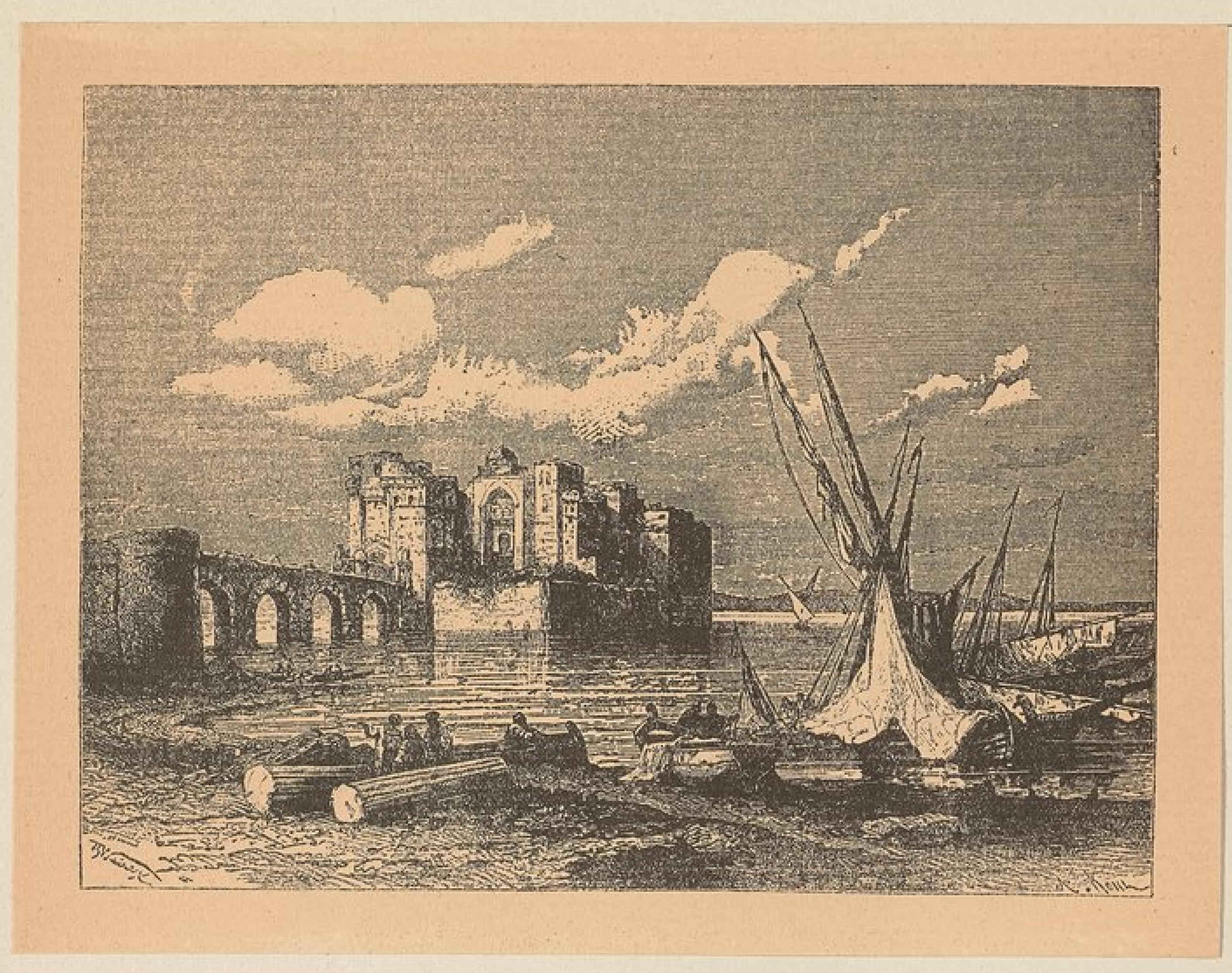
اسوار بعلبك



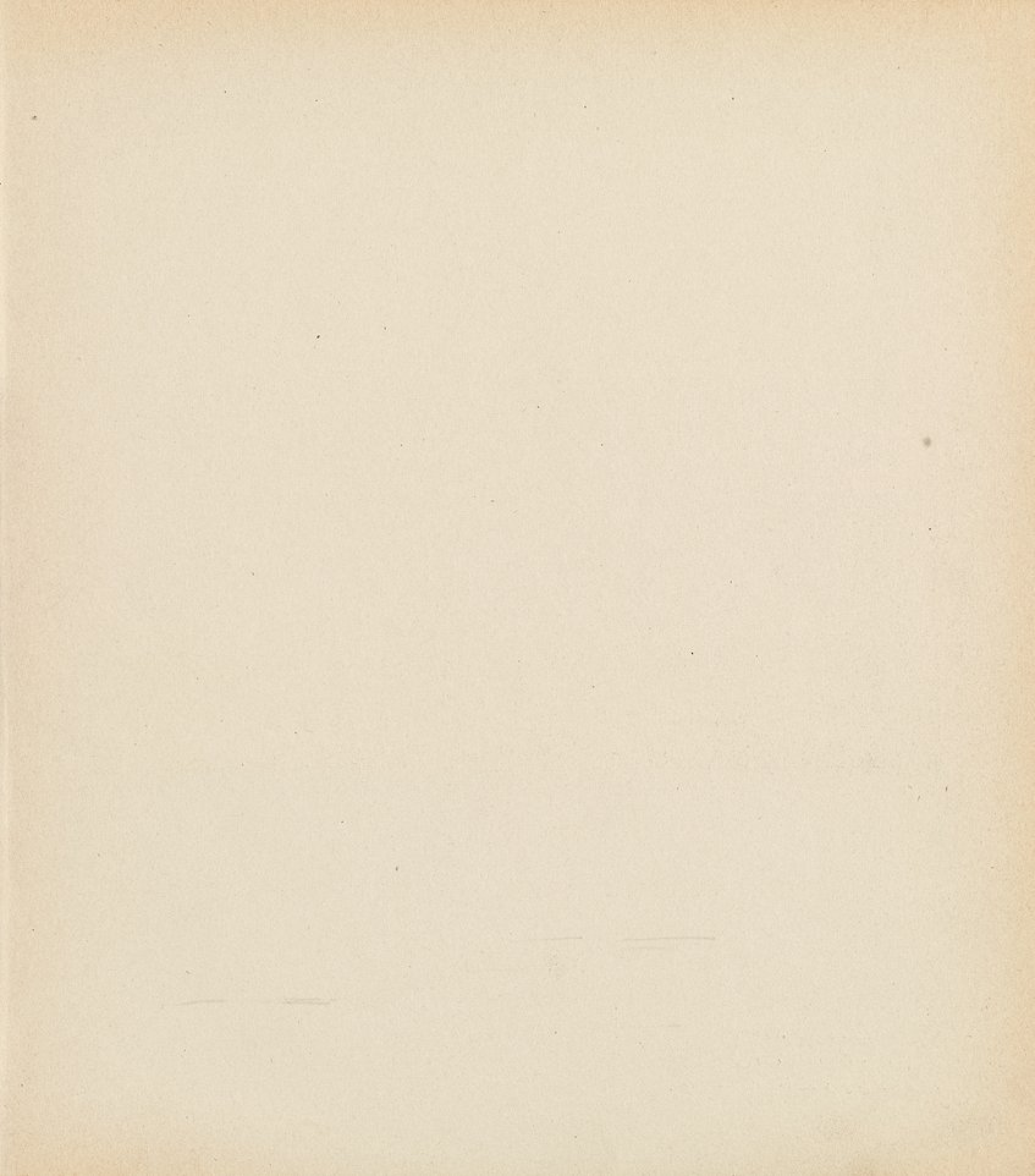
ومن عهد احدث ورثنا جوهرة بيت الدين . بناها فنانون دمشقيون في مستهل القرن التاسع عشر بأمر من الامير بشير الشهابي ، ووصفها لامرتين بمحبة ، ثم عدّل بعضها الحكام الذين تعاقبوا فيها ، الى ان رممت في السنوات الاخيرة ، وجعلت مقر اصطياف لرئيس الجمهورية . ان هذا القصر ، بحناياته الخفيفة واروقته المنضدة ، وقببه واعمدته ، وابراجه المربعة المشرّفة ، واكوام الخضرة المتداخلة فيه والمحيطة به ، يكوّن متعة طريفة للعين .



قلعة جبيل ، الحصون



« قلعة البحر » ، صيدا
قبل قصفها بالقنابل عام ١٨٤٠
للرسام كوهل من كتاب اورتيه

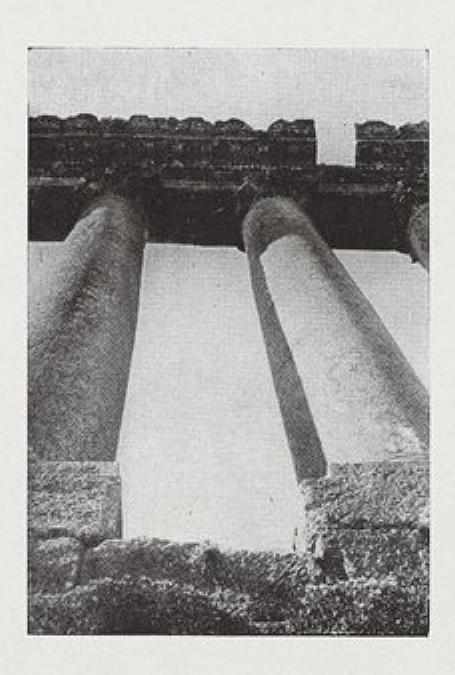




وسواء اجتاز المرء الميدان حيث كان الخيالة يتبارون في الفروسية ، أو صعد معراج المنقلب — وقد دعي هكذا على أثر وقوع احد الضيوف الكرام بصورة غريبة لاصطدامه بكبش هنــاك — ، فالتذكارات عديدة تدعو الزوار وتستميلهم .

فتراهم يفدون جماعات جماعات لتحية الامير ،وطلب العدل منه والامان . ويتعاقب بعدهم ضيوف

جبيل ، مدرجة الميدان والبحر



بعلبك ' شموخ الاعمدة

بعلبك ' التيجان

رأس الاسد



ظلال المعبد الصغير



بعلبك ، المدرجة الكبيرة

عظام من سليمان باشا ، الى ابراهيم باشا ، الى الامراء الاجانب يزورون سيد المكان ويتمتعون باريحية ضيافته. وكيف لا يتأثرون بلطف استقباله وبالآيات المنقوشة ابتداء من المدخل على الحيطان المزدانة بالفسيفساء الغنية .« يا ربي ! كافئ من يخدم رعاياه بعدل » ، وهذا البيت من الشعر لبطرس كرامه :

« فساعة العدل خير   من الف شهر عباده ».

وانى اتجهت ترى الابهة امامك : فهنا موائد تمتد لاكثر من ٥٠٠ شخص تعد يومياً في مطابخ رحبة ، وفي الاسطبلات اكثر من ٦٠٠ حصان من اصل عربي خالص ، وهناك حمامات مؤنقة .



بعلبك ، هيكل جوبيتر

يطوف المرء في هذه الاماكن بقلب طافح غبطة . وامام قبر «الست» شمس ، زوجة الامير الاولى ووالدة ابنائه الثلاثة الذكور ، وقد اعيد رفاته حديثاً الى قربها ، يفكر المرء بتأثر أن الامير يستريح اخيراً في هذا القصر الذي احبه كثيراً وحيث كل شيء يذكر بشخصيته الكبيرة . كانت هذه الارض دائماً محط اطماع الفاتحين . غير ان لبنان تمكن بدوره ان يخضع فاتحيه بفعالية تراثه المجيد . فكنت ترى اليونان ، على حبهم النقد ، والرومان ، على خيلائهم ، يقدمون له الاحترام . بل يذهبون الى ابعد من ذلك ، فلا يتورعون عن الغرف من ثقافته ، وعن اقامة الهياكل الجبارة لآلهته . فالروح



لبنان الجنوبي ، قلعة تبرون

وحدها تنفخ الحياة في المادة... وفي العهد نفسه اذ كان الناس يأتون الى بيروت من مختلف مناطق العالم الروماني لانهاء دروسهم الحقوقية العالية في مدرستها الشهيرة ، كتب الشاعر اليوناني نونوس :
« ان المنازعات الهدامة الناشبة بين الدول ستظل تهدد السلم ، الى ان يستقيم حكم بيريت (بيروت) ، مفزع الطمأنينة في الحياة ، على الارض والبحار ، فتحصن المدن بسور من القوانين الراسخة وتنشئ فيها جميعاً نظامها الامثل . » نتموش عديدة ، قنوات تمتد عبر الاراضي كلها ، جسور هي حقاً طرائف

جبيل ، حجرة العماد في القرن الثاني عشر



فنية لا يزال بعضها قائماً في مكانه . وفي طول البلاد وعرضها ، آثار تنطق بذكر هذه السيادة المجيدة والمسودة معاً . أليست عرقه ، تلك المدينة الهادئة بالقرب من طرابلس ، حيث تتوفر بكثرة حتى اليوم الآثار الرومانية الجليلة ، هي التي اعطت امبراطوراً لرومة ؟ واسكندر سيفير ، مؤسس مدرسة الحقوق في بيروت ، ألم يواز بعلمه وعقله اعظم القياصرة ؟ وتلك الهياكل الموزعة في اماكن عديدة من لبنان ، شاهدة على اهتمام المنتصرين بمحاباة آلهة البلاد التي كانت شهرتها قد تجاوزت البحر ، من عشتروت ، الى أدونيس ، الى بعل ، ألا يرقى عهدها الى هذا الزمن ؟

جبيل ' أقبية الحصن

ثمّ تشاهد الاعجوبة بقاء هيكل سفيرة ، القائم على ثمـانية كيلومترات من سير ، وكأنه بني بالامس القريب . فحجاره وثيقة الاحكام وقرن نقوشه تشع كأنها ما برحت في يومها الاول.

ولا يزال هيكل بزيزة ، بمدخله الجميل وأعمدته الثلاثة الواقفة ، مطلاً على الهضبة حيث تقوم البلدة . وُقف في عهده لعزيزا ، أحد الآلهة الساميين ، الذي عبده سكان اورفا مع إلههم مونيموس.

وشمال شرقي بزيزة ، على بعد اربعة كيلومترات تقريباً، ترى خرائب ناوس ، وهي اهم الخرائب



انقاض قلعة الشقيف

في لبنان بعد بعلبك ، باسوارها الرحبة تتوّج ابوابها عتبات من الحجر الضخم يبلغ طولها ستة امتار .
وصُعداً نحو اليمونة ، هذه البحيرة التي يقال بان أفروديت لجأت اليها هرباً من ملاحقة تيفون جانّ
الشرّ ، فتقمصت سمكة ، تقوم ايضاً بقايا هيكل روماني فسيح . تنساب مياه هذه البحيرة في تربة
جبل عاقورة المساميّة لتنبع في مغارة أفقه فتولّد نهر أدونيس الشهير ، الغني بالتذكارات . وان المعبد
المشيد قرب الشلال بين العرعر كان موقوفاً على ڤينوس – عشتروت ؛ ويسود اعتقاد شعبي ان الآلهة
لا تزال ترودِه، فتقدّم قرابين وتقام عبادة سرية للشجرة المقدسة التي تنبت جذورها خلال الصخور



المشققة. ڤينوس ، أدونيس ، المريخ : اسطورة الزوج السعيد ، تعكر صفو هنائه غيرة الخصم المبعد يتلذذ بانتقامه ، تعاد مأساتها هنا . فخرافة ايزيس واوزيريس ، ومصدرها التاريخ المصري السحيق ، ترتدي في بيبلوس (جبيل) شكلاً جديداً ، وتصبح الاسطوانة الجبيلية ،وهي رمز الاله النبـاتي ، موضوعاً عادياً للنقوش الهيروغليفية . ولا يمثل اليوم هذه العبادة الزاهرة في ذاك العهد سوى المقبرة القديمة وبقايا أعمدة ومحاريب كانت مركز الاحتفالات الادونيسية ، ثم حولت بعدئذ الى معبد مسيحي.

طرابلس ، القيحاء والبساتين والبحر



طرابلس ، حصن ريمون دي تولوشه

ولا بد من الاشارة الى ان مثل هذا التحويل كان متواتراً . فمعبد دير القلعة على جبل بيت مري شُيد مكان هيكل قديم لاله الرقص واستخدمت له حجارته . وكانت القمم العالية تؤله غالباً . فحرمون ،مثلاً لم ينظر اليه فقط كجبل مقدس ، بل اعتبر ايضاً الهاً محسناً كريماً يجود بالحياة على البلاد بأسرها . وهذا ما يشرح وجود سور مقدس على جوانبه ومعبد روماني استحالا اليوم الى خرائب مبعثرة . وعلى بعد يسير من هذا المكان ، شُيد هيكلا بانياس وهباريه ، وبنيت حيطان القاعة في الهيكل الثاني باحجار ضخمة يتجاوز سمكها المترين .



ونصل اخيراً الى بعلبك ، مدينة الشمس المشرفة على البقاع .

طرابلس ، تكية الدراويش

تعتبر بعلبك من اقدم المدن في العالم . وتتفق كلمة الشعوب التي استولت عليها على ان عهد نشأتها يعود الى ما قبل الطوفان . ولا يزال سكانها اليوم يعتقدون بأن آدم عاش في ضواحيها . ومهما يكن من امر ، فهذه المدينة كانت دائماً مركزاً دينياً وثنياً ذا شأن كبير . وفيها أقام الفينيقيون هيكلاً لعبادة الههم بعل . ثم جاء السلوقيون فوحدوا بعلاً بالههم — الشمس هيليوس ؛ وفي عهد الرومان ، لمس هؤلاء الفاتحون ما تكنه شعوب الشرق من احترام لبعلبك فسارعوا الى تشييد الهياكل الفخمة فيها . والاجماع سائد اليوم على ان الآلهة الذين عُبدوا فيها يؤلفون ما اتفق على تسميته « المثلث



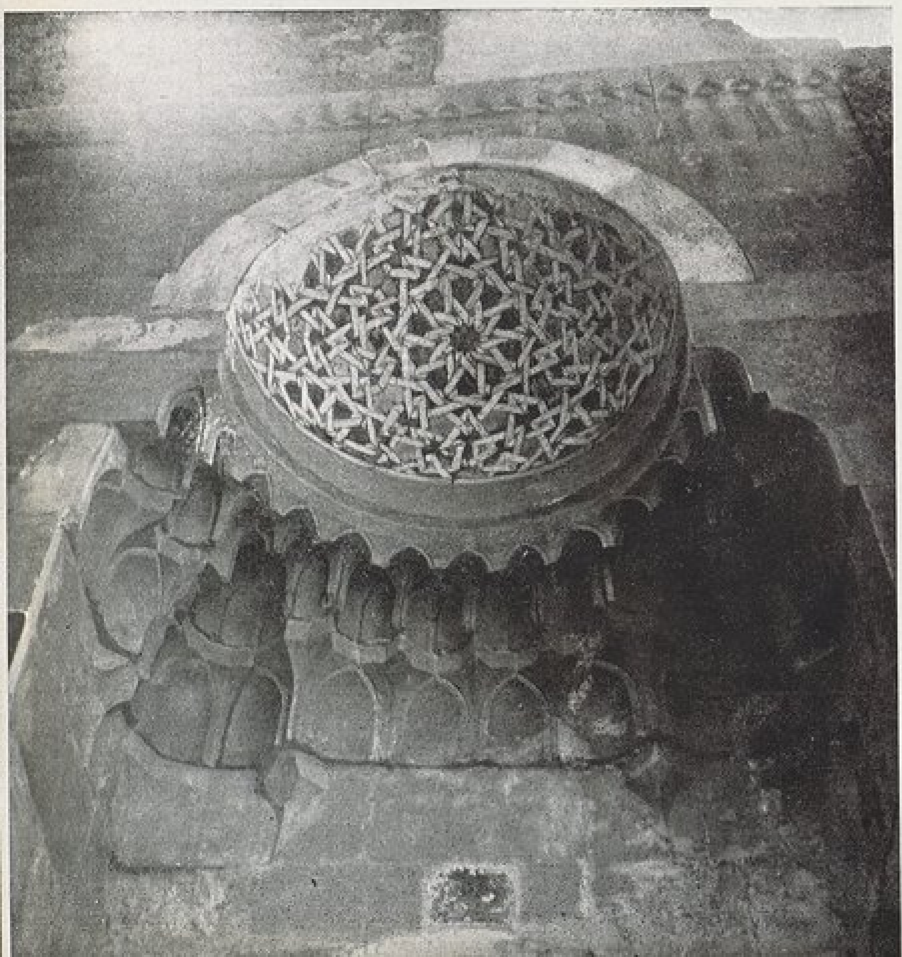
الهليوبوليسي » (البعلبكي) : جوبيتر وڤينوس وعطارد — باخوس . فانك واجد هنا مجموعة بنايات تدعى احياناً الاكروبول مؤلفة من هيكلين وساحتين ، تتقدمها الاروقة ، وسور زيد ارتفاعه في العهد العربي . كتب بارس : « لا امل لي البتة في ان ابذ سلفائي فافوقهم نجاحاً في جعل الكلمات تحسس هذا الخلط من الروائع المتهدمة . خضم شاسع يجليه الرخام والمرمر ، اوقيانوس من الاعمدة والتيجان والاطناف والافاريز اللولبية ، اسراف في السخاء عفوي : فكأنك غداة طيران احد الآلهة » . ومن حسن الحظ ان تكون البعثة الالمانية التي أمت بعلبك فنقبت عن المعبد الكبير وعن معبد آخر قربه بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠٤ قد نزعت الردم كله ووضعت خرائط متقنة عن نتيجة تنقيباتها . ومنذ ذلك الحين ، قام بعض علماء الآثار الفرنسيين ومدير المتحف الحالي باصلاحات وترميمات موفقة .

ذروة الشقيف ' الحصن









يطوف الزائر في قلعة بعلبك، فيتماكه العجب من الحرية والدقة اللتين تنـاول بها البناؤون العرب ما اضافوه الى اعمال اسلافهم. فاهتمامهم بشؤون الدفاع العسكري خاصة حملهم على تجهيز انقاض هذه القلعة بشبكة من التحصينات والمتاريس والحيطان والاروقة استخدمت الى أقصى حد ما كان قائماً منها سابقاً. فالمرامي هنا تجاور الاكلة، والاسوار المشرفة تواصل اناقة الاعمدة، والمحاريب تنقش خطوطها الملتوية في حنايا المعابد المتناسقة. ولكن، ليس في هذا التباين الهندسي، ولا في هذا التقبض الغريب في الاشكال ما يزعج النظر او ينفر الذوق. فالاشعة الذهبيـة والارجوانية واحدة تنساب هي هي وسواء بسواء على طول الافاريز وعلى الحلميـات المتدلية. ثم ان جميع العهود، وقد كانت مأخوذة بالجمال الشكلي التقت واختلطت، تحت حنية

طرابلس، واجهة جامع القرطاوية
طرابلس، جامع المعلق
حلميات الجامع الكبير والقيسرية

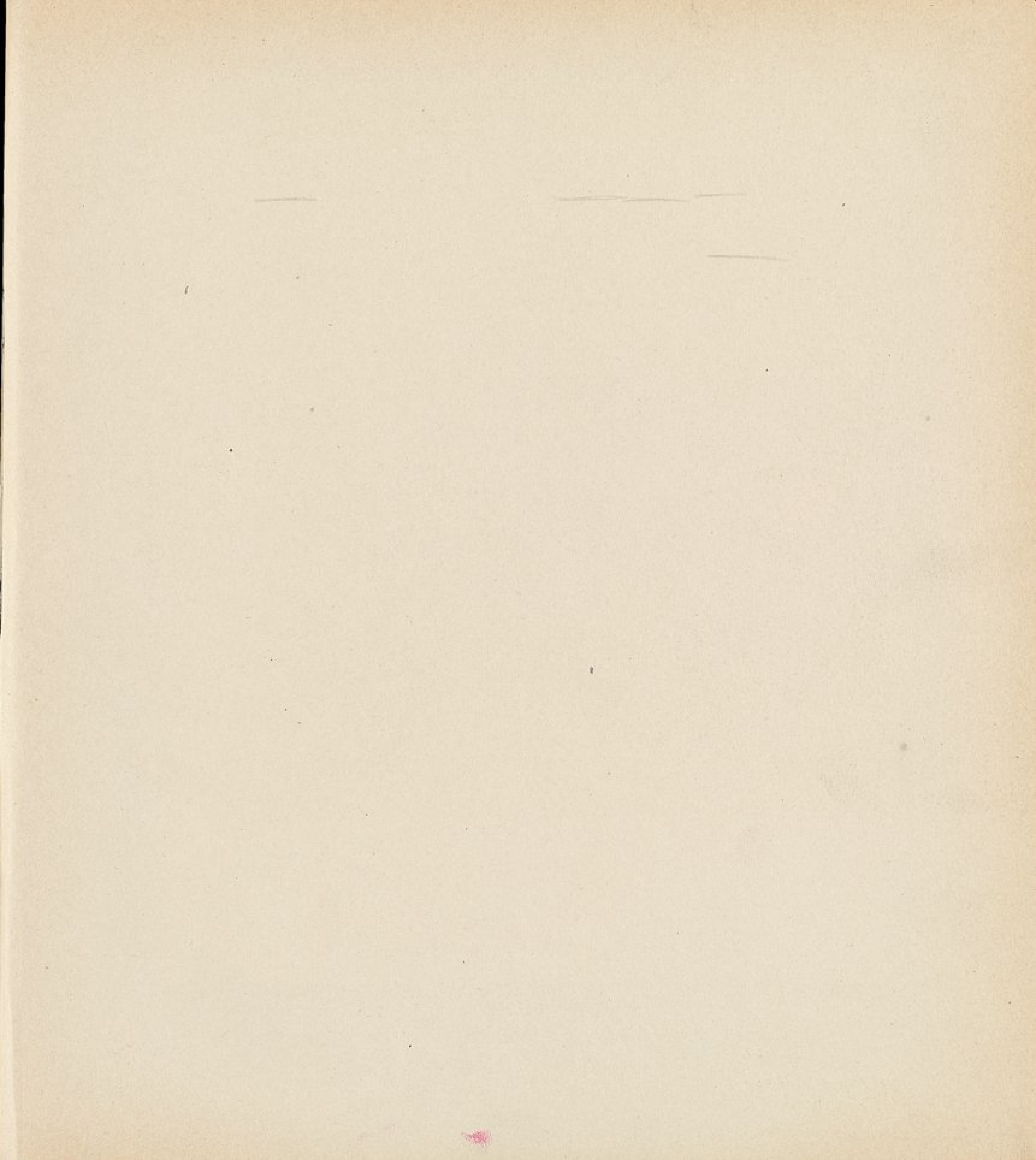


بيت الدين ، المُطلّ الجنوبي



درزيّة من حوران

لوحة زيتية بريشة صليبا الدويهي





قصر بيت الدين
الفناء الداخلي

الزمن المتحركة ، في طواعية الحجر الثابتة ... علمنا التاريخُ ان البنائين الكبار غالباً ما يكونون سياسيين كباراً ايضاً . ويطلّ هنا في الذاكرة طيف الخليفة معاوية ، باني الدولة الاموية ، وقد طبع بطابع عميق ، في القرن الثامن للميلاد ، الفن الاسلامي ومؤسسات الدين الناشئ ، فأقعد السلطة على دعائم متينة ، وافتتح اراضي جديدة حتى اتسعت حدود الامبراطورية العربية من الهند الى ضفاف الاطلسي ، وبنى من ارز لبنــان اسطولاً جباراً هاجم به ، والعلم الاخضر يخفق على سواريه ، جزيرتي رودس



وقبرس فانهزمت امامه سفن بيزنطية شر هزيمة . وشعت في هذا العهد الميمون انوار الفنون والآداب فاذا بالاخطل وجرير والفرزدق لا يزالون حتى اليوم من اجلّ مفاخر الادب العربي القديم ... هذا العصر الذهبي الزاهر ، الذي امتاز بالتساهل السمح ، تجدّد بعد عدة قرون تحت حكم فخر الدين وسلالته . وتجدر الاشارة هنا الى ان لبنان حوالى عام ١٦٠٠ كان قد استكمل هيكله الاساسي وأخذ يتمتع باستقلال نسبي كرّسه نظام الامارة .

مدخل قصر المختارة



عشّ النسر في بيت الدين

نشأ

فخر الدين في كنف امه « الست » نسب ، بين وعورة جبال كسروان وفي ظلال سمائها الصافية ، فقبس البأس والمرونة من تعاليم هذه الارض المضطرمة حيث تتمازج صلابة الحجر وخطوط المسالك المتعرجة ، وحيث في الجو شغف عجيب يخلب المسافر فيخطئ في تقدير المسافات التي تفصله عن القرى المنبسطة على مد نظره ، وحيث الطرقات نفسها تبدو كأنها، بمنعرجاتها العديدة الغريبة ، تنحرف عن مقاصدها لتبلغها بطريقة مثلى . انعكست هذه المدهشات البصرية في حياة الامير الكبير فتركت فيها أثراً عميقاً . وهكذا كان يلجأ تارةً الى الحيلة ،وطوراً يعتمد القوة ليجمع حوله خليط الامراء الصغار الذين غالباً ما كانوا يتخاصمون على شبر من الارض او عدد من شجر الزيتون لايتجاوز اصابع اليد الواحدة . وانشأ جيشاً مخيفاً ، وعقد محالفات سامية ، ثم قطع البحر ليخاطب الفلورنسيين مخاطبة الندّ

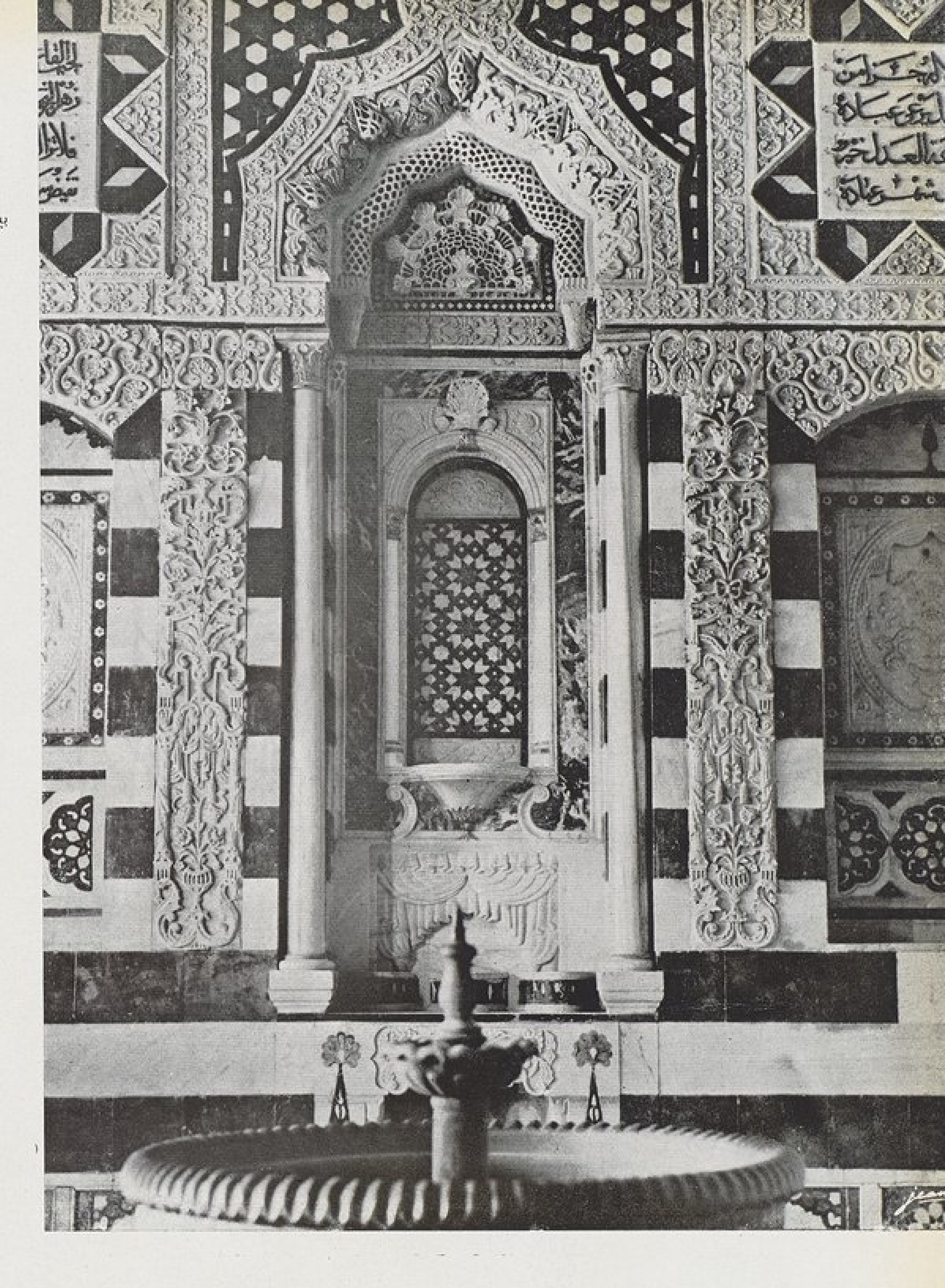


منظر للبحر من بيت الدين

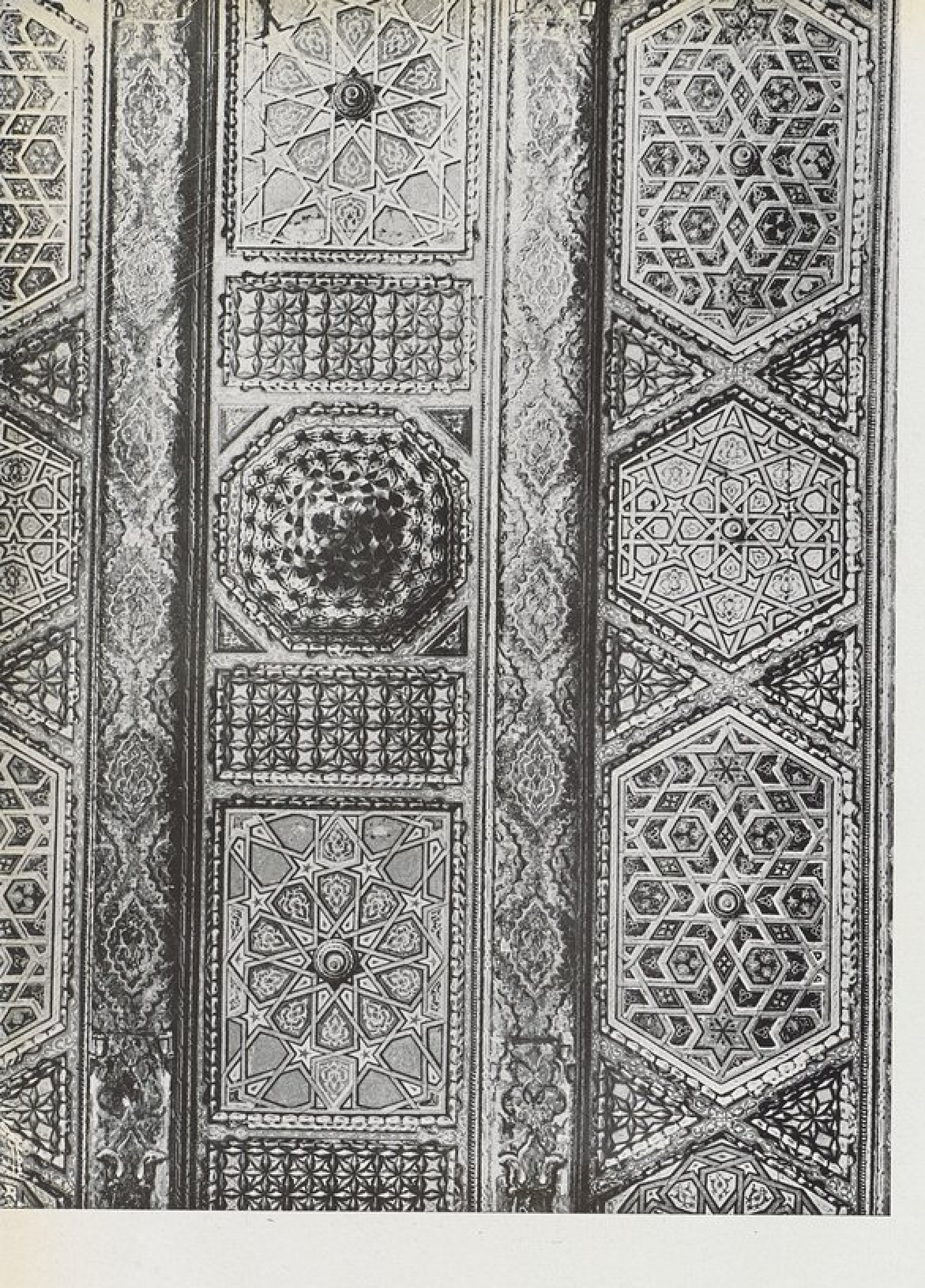
قناطر قصر بيت الدين

للندّ ، وسعى لزعزعة النير العثماني . وهو ان لم يحالفه النجاح ، وان كان دفع حيـــاته ، على شاطئ البوسفور ، ثمناً للحلم الجميل الذي دغدغه طوال العمر ، فمما لا شك فيه ان عصره ، بما رافقه من اعمال جليلة في حقول الادب والفن والزراعة والتجارة والعمران ، سيبقى صفحة من امجد الصفحات في تاريخ لبنان بكامله . غاب وجه فخر الدين الكبير عام ١٦٣٥ . غير ان السلالة المعنية لم تنقرض بوفاته ، بل استمر امراؤها في الحكم حتى سنة ١٦٩٧ . وفي هذه الحقبة ، كانت الدول الاوروبية تهدد تركيا بالتجزئة ، فلم يبقَ بامكان سلاطين آل عثمان ان يضموا لبنان الى ممتلكاتهم ، ولا ان يحافظوا على الامن في الجبل ويضمنوا جباية الضرائب . فأذنوا لاعيان اهالي لبنان ان يجتمعوا اجتماعاً رسمياً في مرج السمقانية وينتخبوا خلفاً للمعنيين . فعقد هؤلاء اجتماعهم التـــاريخي وانتخبوا الامير

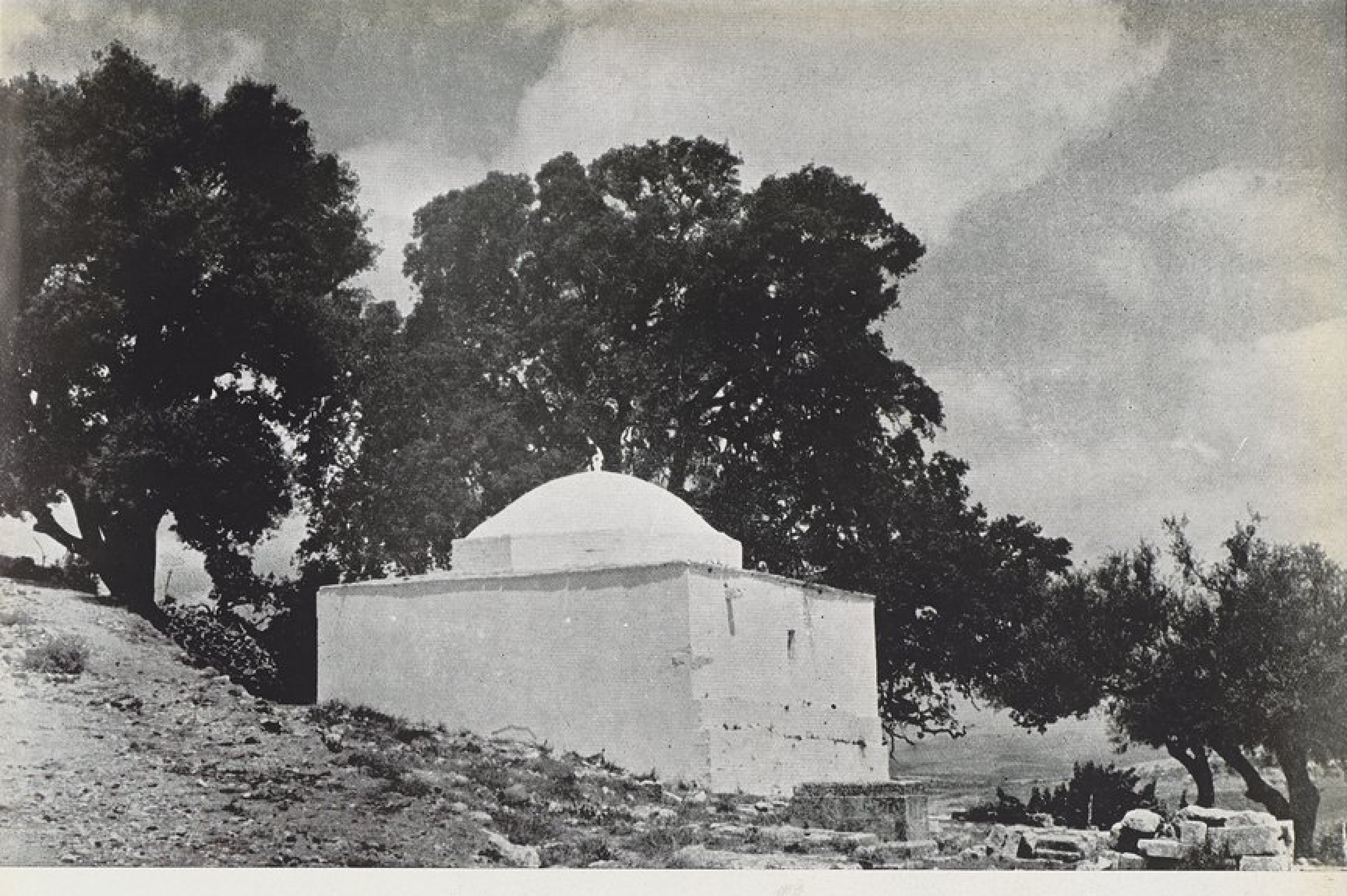




بيت الدين : حوض الرخام



بيت الدين :
تفاصيل النقوش في احد السقوف



مزار في الجبل اللبناني

حيدر شهاب حاكماً عليهم ، ووُلي الوصاية عليه لبضع سنوات الامير بشير الاول . اعتمد هذا الامير الشاب القيسيين ، ودحر اليمنيين اعداءه . ثم استفاد من انتصاره الباهر في معركة عينداره لينظم البلاد بمعاونة مشايعيه من آل جنبلاط وابي اللمع وارسلان وتلحوق والخازن وحماده ، فاقطع كلاً منهم منطقة وولاه عليها . غير انهم جميعاً كانوا يخضعون لحكامهم الشهابيين . وقد لمع من هذه الاسرة الامراء ملحم واحمد ومنصور ويوسف الذي تنازل عن الحكم مختاراً لابن اخيه بشير الثاني الكبير . واذا ما ذكر عصر الشهابي ، ذكرت معه اسماء ضاهر العمر والجزار وبوناپرت ومحمد علي وابراهيم باشا . ولكن فوق هؤلاء جميعاً ، يحلق وجه « ابي سعدى » وهو ، بعد فخر الدين ، المؤسس الحقيقي للبنان الكبير .



ضريح « الست » حمص



تمثال ايجيونيوس



فينسا، ليدا



بعد هذا الاستطراد الخاطف الى هذه الحقبة، نعود الى بعلبك.

ان في متحف بيروت اليوم تصميماً لهياكلها يتبين منه المرء ابهة هذه الابنية وفخامتها في عهد عزها. فالاروقة كانت مؤلفة من معراج جبار يبلغ عرضه ٥٠ متراً، يؤدي الى مدخل يحيط به برجان وتزينه اعمدة متراصة متناسقة، لا تزال قواعد اثني عشر منها في مكانها، وهناك دار مسدسة الزوايا والاضلاع يبلغ طول قطرها ٦٠ متراً تقريباً. تدخل منها الى السور المقدس. وفي زواياها الست،



متحف بيروت

الدرج الكبير



ست قاعات ، تتقدمها الاعمدة ، كان يستخدمها الكهان .

اما ساحة المذبح ، وتبلغ مساحتها ١٣٥ متراً طولاً و١١٣ عرضاً ، فكانت تتقدم معبد جوبيتر الكبير . وفيها حوضان ، واحد في الشمال — وهو الاهم ، تزين حواشيه نقوش دقيقة الصنع — ، والثاني في الجنوب ، وهما يحيطان بالمذبح . وكان الدرج الكبير بين هذين الحوضين كنيسة مسيحية شيدها ، ولا شك ، تيودوس على مرتفع مسطح . ويشرف على هذه المجموعة كلها معبد جوبيتر الهليوبوليسي ،

رأس باخوس

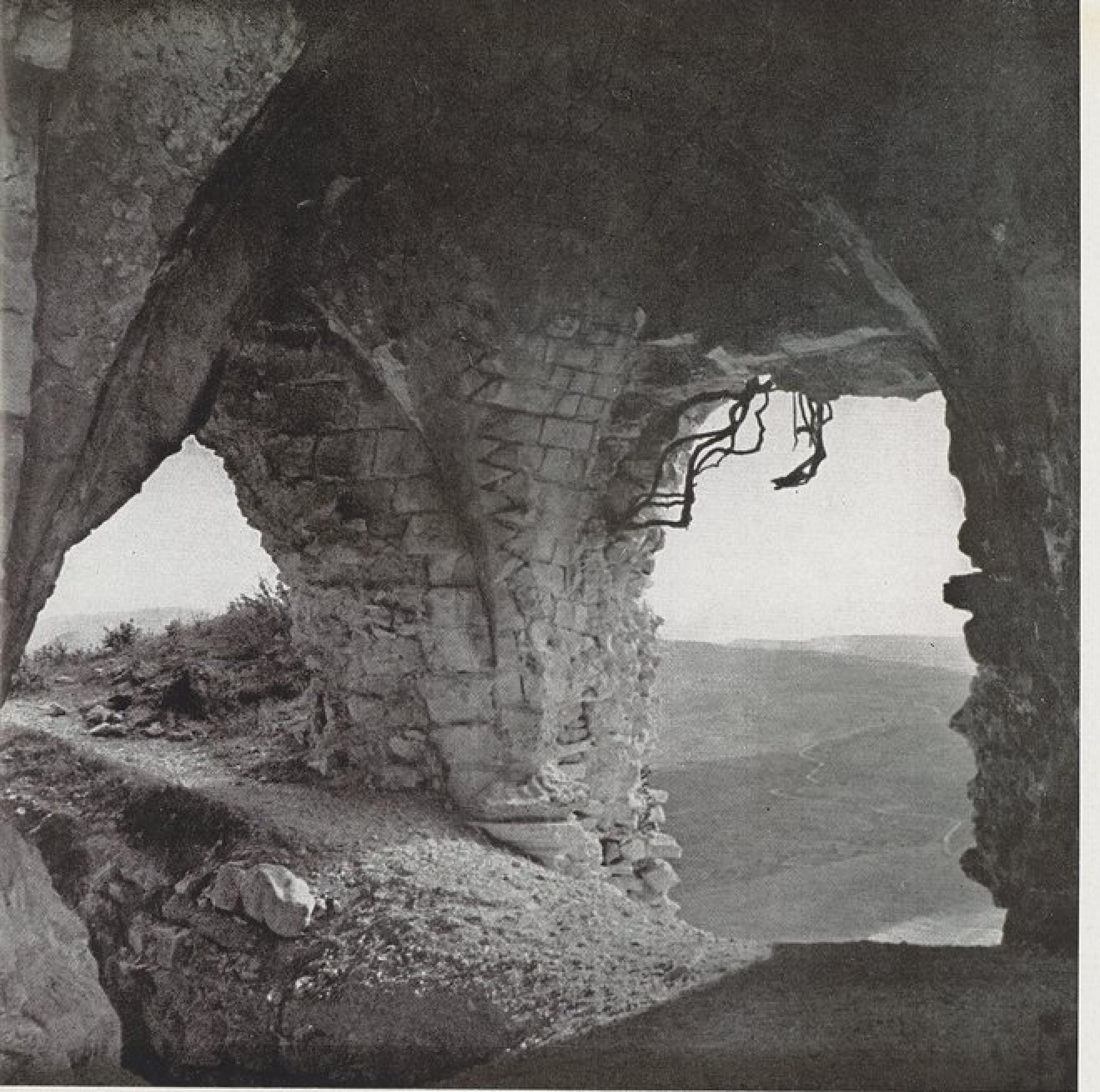


وهو يرتكز على اقبية عظيمة معقودة بالحجر. وكان يحيط بالقاعة التي تضم تمثال هذا الاله ٥٤ عموداً، لم يبق منها الا ستة اعمدة بجلال فريد لا مثيل له. «لو اتفق واضمحلت اعمدة بعلبك، لحدث نقص في الجمال على هذه الارض، وقل الشعر تحت سماء لبنان العميقة. فان العين لا تمل من ملامستها بالنظر، وقد يكون جزء من جمالها مكتسباً من جميع النظرات التي رسخت فيها.» (بوردو).

اما الهيكل المعروف بهيكل باخوس فلا يزال محفوظاً جيداً بالنسبة الى غيره، وهو يعطي فكرة تامة عما كانت عليه معابد بعلبك. وهناك سربان متآزيان يجمعها عمودياً سرب ثالث، تؤلف ثلاثتها اروقة كبيرة تحاذي



نواويس فينيقية



سهل البقاع كما
يظهر من قلعة الشقيف

اقبية الردهات والمستودعات او ملاجئ السياح . وقد اقتضى الاساس الواسع الذي شُيد عليه هيكل جوبيتر بناء سور جبار ، يزيد مقياس بعض حجارته على ١٩ متراً طولاً و٤ امتار ونصف المتر علواً و٣ امتار و٧٥ سنتيمتراً سماكة . اما وزنها ف ٧٥٠ طناً . وعلى مسافة ٢٠٠ متر من الاكروبول ، « وسط جداول عذبة تنساب في غيضة من الحور ، كانت ترودها قديماً إلهات المياه ، تقوم بقايا هيكل لڤينوس (الزهرة) ، يتسم بخطوطه المنحنية وزخارف اكاليله بسمة قرننا الثامن عشر الغربي وكل ما امتاز به من جمال ناعم موشى » .

فهذا الهيكل الذي اعطانا لوتي عنه هذا الوصف السابق لا يزال الى اليوم اعجوبة ذوق ودقة .

ادت الابحاث التي قام بها مؤرخو الازمنة السابقة للتاريخ ، منذ القرن الماضي ، الى الاعتقاد بأن لبنان من اقدم مواطن البشر . فقد يكون الانسان عاش فيه منذ مئة او مئتي الف سنة . وان التنقيبات التي اجريت في جديتا ونهر الكلب وفرن الشباك ومصب نهر بيروت ، وهي بعيدة عن ان تكون قد انجزت ، لا تترك مجالاً للشك في هذا الموضوع . وقد كشفت حفريات انطلياس مؤخراً عن بقايا هيكل عظمي يرقى الى العهد الظرّاني ومجموعة آنية نيوليتية[1] من العصر الحجري الحديث متراكم بعضها فوق بعض على كثافة ثلاثين متراً .

ويستدل من هذه الآثار ان استعمال النار كان معروفاً في ذاك العهد ، وأن صيد الطيور والاسماك

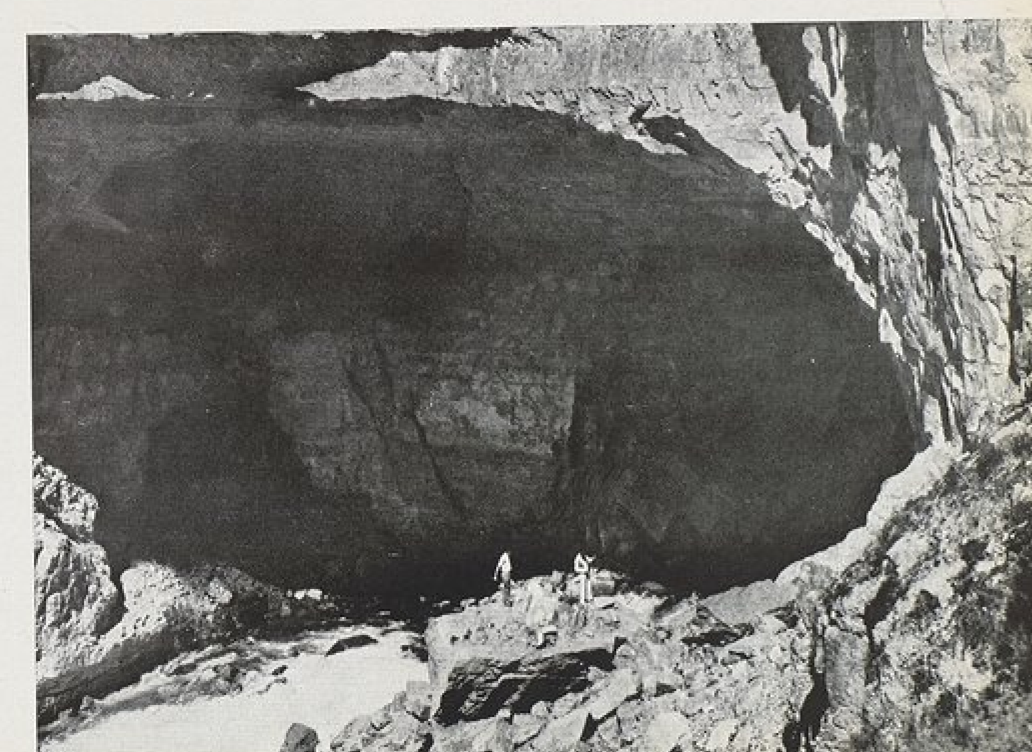
العاقوره : نتوءات جبل لبنان المدهشة



كان يقام به بحذق مجهود ، وأن الرقص والنحت والرسم والموسيقى كانت تمارس جميعها ، وأن التزيين كان شائعاً يستعمله الرجال اكثر من النساء ، وان الايمان بالحياة الآخرة كان راسخاً في النفوس ، وان العلم بخاصة الشفاء في بعض النباتات التي يستعملها الطب لم يكن ناقصاً ، وانه كان للجراحة محترفوها ، بدليل وجود ثقوب واضحة على بعض الجماجم . ولو اضفنا ان اللباس المصنوع من النسيج كان شائعاً ايضاً ، لاستنتجنا ان

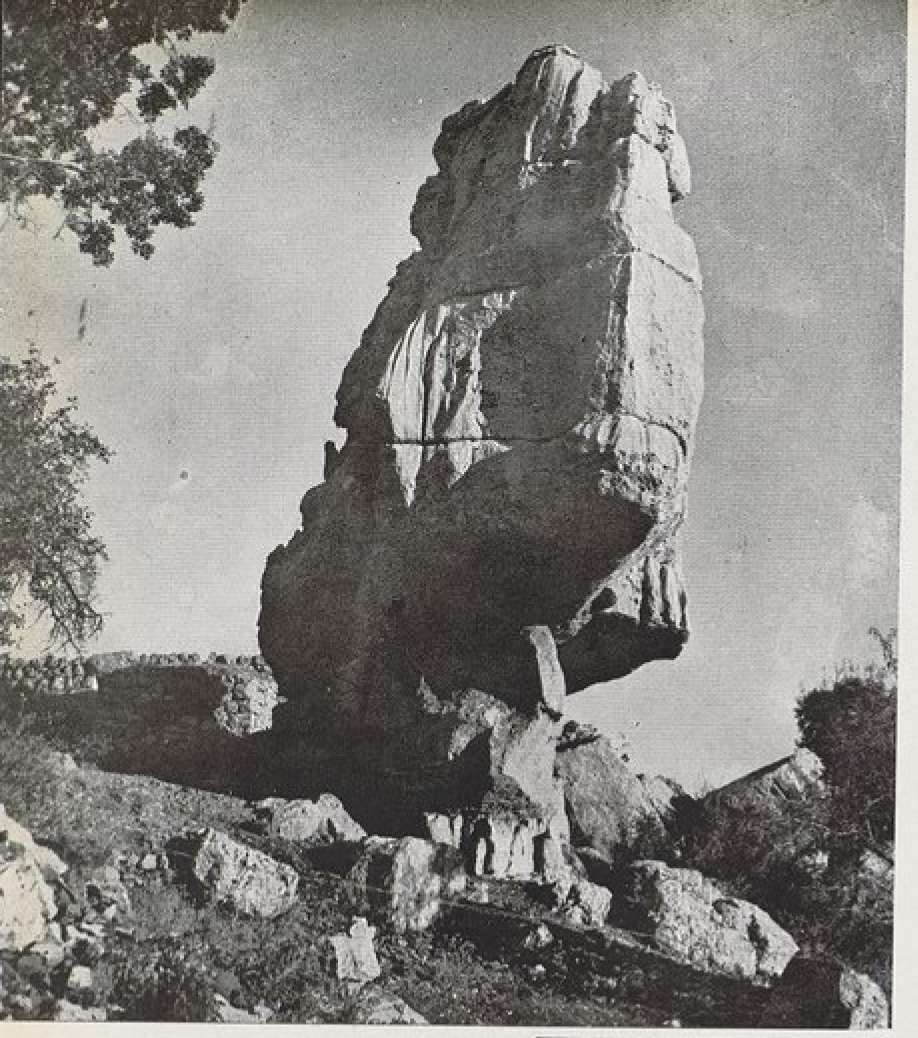


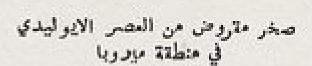
القوس الصخري للجسر الطبيعي
نحو هضبة اللقلوق
مغارة افقا



سكان لبنان عرفوا في ذاك العهد زراعة الكتان ومارسوا بالتـالي صناعات الحياكة والغزل والخزف . تنتشر الزراعة في جميع الاراضي اللبنانية ، ولا سيما زراعة الحبوب ، وقد اخذت تمتد الى بقاع جديدة . وهناك من يعتقد بأن المنطقة اللبنانية هي مهد الحنطة . ومنها ما يوجد بحالته البرية في بعض مناطق البقاع . اما استخدام المعادن واستعمال الذهب والنحاس فشيء معروف في لبنان ، والى العصر الشبهي يرجع عهد استيطان الفينيقيين هذه البلاد ، وفيه دخلت نهائياً في التاريخ .

وهناك اسطورة ، تتفق بمجملها والاخبـار التي تركها لنا هيرودوت ، تقول بأن الاله ايل استخرج من





صخر مقروض من العصر الايوليدي
في منطقة ميروبا



صخور اللقالق



قمة الكنيسة المشرفة على البقاع

بطن المياه البرزخ الذي فصل بين الابيض المتوسط والبحر الاحمر ليسكن سليلة الكنعانيين التي تفرع منها الفينيقيون من جهة ، والاسرائيليون من جهة ثانية . وهناك امر لا شك فيـه وهو ان هؤلاء الفينيقيين الذين يشتق اسمهم من اللفظة اليونانية (فونيكس) ومعناها « الاحمر » ، او اللفظة السريانية « فوينيوس » ومعناها « متمدّن » ، يرجعون في اصلهم الى عشائر كانت تعيش في السهول الواقعة قرب الخليج الفارسي . ولاسباب اقتصادية او على اثر منازعات قبلية ، انتهى الفينيقيون الى التمركز على طول الساحل من جبل طوروس في الشمال الى ما بعد نهر الدامور في الجنوب ، فانشأوا ، بفضل اسواقهم التجارية العديدة ، اقدم تجارة مرور في العالم .

أجل ! ان الفينيقيين كانوا يعودون من رحلاتهم المتعدّدة والطويلة بالسلع اللازمة لتجارتهم ، غير انهم كانوا يحملون معهم مدنية من ارفه المدنيات . فالتنقيبات الاثرية الحديثة كشفت لنا عن دين

عريق في القدم محكم التنظيم ، وعن تطور ثقافي وأدبي مرموق نرى بعض طرائفه اليوم على لوحات رأس شمرا . وقد حذق هؤلاء التجار فنّ الملاحة وما يرافقه من علم واختصاص كعلم الجغرافيا والفلك ، فاصبحوا أئمة في جميع هذه الشؤون ، وألفوا في رحلاتهم المتواصلة نجمة القطب ، فعرفت زمناً طويلا باسم « النجمة الفينيقية » . وهم ان قصروا في اختراع صناعات جديدة ، فقد حسنوا ولا شك في كثير منها واكتسبوا شهرة واسعة من جرّاء هذا التحسين . فالصباغ مدين لهم بالارجوان الذائع الصيت . وهم الذين وصلوا بفنّ الزجاج الى اوجه ، واقتربوا من الكمال في بناء السفن ، واستخراج المعادن وتذويبها ، وفي الصياغة . زد على ذلك انهم كانوا بنائين ممتازين ، تشهد هياكلهم الفخمة على براعتهم وفخامة تصاميمهم . غير ان اختراعهم الابجدية فاق كل اعمالهم هذه وأدى الى الانسانية خدمة فريدة جليلة .

قمة المزار كما تظهر من الملجأ





منحدرات حرف النسر

ناووس أحيرام ، وهو من انفس القطع المحفوظة في المتحف الوطني ، يحمل أقدم كتابة أبجدية في العالم ، تلك التي استخرجت منهـــا جميع الابجديات الحديثة . وقد حلل السيد ديسو رموز هذه الكتابة ، فاذا نصها :

« الضريح هذا صنعه ايتو بعل بن احيرام ملك جبيل ، لأحيرام أبيه كمسكن للأبد . واذا ملك بين الملوك وحاكم بين الحكام أنزل المحنة على جبيل ونقل هذا الضريح ، يحطم صولجان سلطته



ثنية المجدل وترشيش

ويفكك عرش ملكه ، والسلام يسود جبيل ، وهو يباد وذرّيته بالسيف » .

واليوم ، ماذا يبقى من الممالك الفينيقية الاربع ، بيبلوس (جبيل) وبيريت (بيروت) وصور وصيدون (صيدا) ، وهي غالباً ما كانت تشنّ الغارات الواحدة منها على الاخرى ؟ كتب الاخوان تارو : « ان الشاطئ اللبناني كمقبرة طويلة شاسعة من المدن الغرقى بين البحر اللألاء والجبال العظيمة الجبارة » . وان بضع ساعات تقضيها في متحف بيروت تمكنك من تكوين



حقول التزحلق الدائمة
في اعالي الجبل اللبناني

سور الارز تحت الثلج

فكرة واضحة عن مدى عظمة هذا « الغرق » ؛ فان ما تلاقي فيه من غنى فاخر جُمع حطامه من هنا ومن هناك ، ينطق ببلاغةٍ عن درجة التمدن العالية التي بلغتها هذه المدن . ان المتحف الوطني ، وقد بني حديثاً على مقاييس متناسقة بالرغم من ضخامتها ، يظهر في رواقه الرحب وما يحيط به من مماش منيرة ، وفي قاعاته الفسيحة حيث يتدفق النور ، كأنه الاطار الأمثل لما يشتمل عليه من مدهشات .



في بيبلوس وجدت أهم الآثار الفينيقية القديمة ، وهي ترجع الى عهود مختلفة . وتشاهد القسم الضخم منها كالتماثيل الكبيرة ، والآنية المنقوشة ، والفسيفساء والنواويس معروضاً في الرواق الكبير وفي المماشي. وهناك آثار تؤلف حقاً كنزاً ثميناً كتلك القارورة المرصّعة بالذهب والحاملة مسكوكة امنحمت الثالث ، وقد اهداها هذا الفرعون الى ابي شمر ملك بيبلوس في القرن التاسع عشر قبل المسيح ، وكتلك الصندوقة العائدة الى العهد نفسه ، والفؤوس الذهبية أو الفضية ، والمدية وقرابها ،

وهذه المجموعة من الأواني الخزفية تمثل حيوانات من القرن الثامن عشر . اما الآثار اليونـانية والرومانية فاكتشفت في مغاور منطقة صيدا . فناووس الرخـام المعروف بناووس الاسكندر ، وناووس النائحات ، وكلاهما في متحف اسطمبول ، تحفتان صافيتان من اروع القطع المنحوتة في العالم . وهناك آثار جليلة اخرى مأخوذة من مجموعة للدكتور فورد ، وقد وجد في بستان داره خمسة وعشرين ناووساً غريبة الاشكال يرجع عهدها الى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد .

لم يُدعَ لبنان عبثاً في التوراة « بلداً يجري فيه اللبن والعسل » . فنحن ان سلمنا بالشرح القائل بان المؤلف المقدس يشير بضبط هنا الى نبعين عظيمين في كسروان لا يزالان حتى اليوم يحملان اسمي اللبن والعسل ، ندرك عندئذ ان الراوي تأثر من وفرة ينابيع لبنان ونقاوتها وعذوبتها .

شوحة الارزات





فرسان من الدروز
قرب ارزة لامرتين

ليس في لبنان ، بسبب عدم انتظام وطول الامطار فيه ، وبسبب قابلية الترشح في مساحاته المسقية ، مجاري مياه بالمعنى المعروف عند جغرافيي المناطق الرطبة . ان الينابيع فيه عديدة غزيرة ، غير ان مجاري المياه تتشعب في طريقها فتتشح عند مصبها . أضف الى ذلك ان القرض لم يفعل فعله في صلابة الارض ، ولا تزال الاشكال الطبيعية تخطط مجرى الماء . وان وعورة المنحدرات الشديدة ، وقابلية الترشح في السفوح لما يمنع تأليف شبكات حقيقية ؛ فالانهار ، من جهة الابيض المتوسط ، ليست سوى سيول متآزية تتدحرج نحو البحر (قاديشا ، نهر ابراهيم ، نهر الدامور) .

بساط من الخضرة في الجبل





صنين : المسيل الكبير

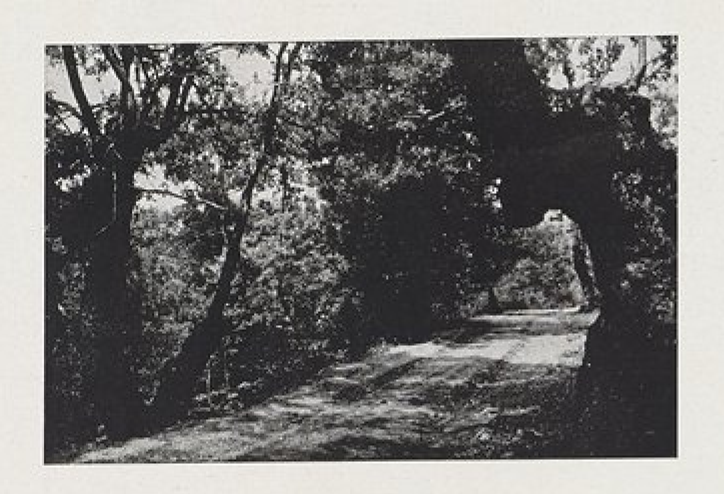
الوجهة الشمالية

ويشذّ عن هذه القاعدة النهر الكبير وحده ، فيكاد يؤلف شبكة نهرية يسهل تأليفها انبساط الارض في المنطقة الشمالية وتطوّر تصريف المياه وتقدمه فيها .

اما الليطاني ، فقد ساعد لين التربة التي يجتازها في قسمه الاعلى على اتساع حوضه . فهو يبدأ بمجرى قليل الانحدار في البقاع الجنوبي ، ويقطع هذه المنطقة غائرا في مضايق عميقة . وعند نهايتها ، يتخذ مجراه شكلاً فتاناً ، اذ الوهاد التي يسير في قعرها تبلغ في بعض الاماكن ما ينيف على ٣٠٠ متر عمقاً .



طريق القارق
ممرّ ظليل في البقاع



ينبع النهر الكبير ، الذي يحد لبنان شمالاً ، في جبال النصيرية ، وتنصب فيه مياه نهر العروس الذي يرفده مجرى هو اكثر المجاري غرابة في تلك المنطقة يدعى النهر السبتي ، أتى على وصفه المؤرخ فلافيوس — جوزيف في أثرياته اليهودية . وتعزو الاسطورة اسمه الى كونه جدولاً متقطعاً ، لا تنبعث مياهه الا كل سبعة ايام . وفي الواقع ، فهو لا يجري الا كل ثلاثة ايام تقريباً . تندفق مياه قاديشا تحت ارز لبنان الشمالي ، وتجري في وادٍ عميق مطبق ، لا تزال اديرة عديدة معلقة فوقا

طريق اهدن
غابة الزيتون في سهل زغرتا

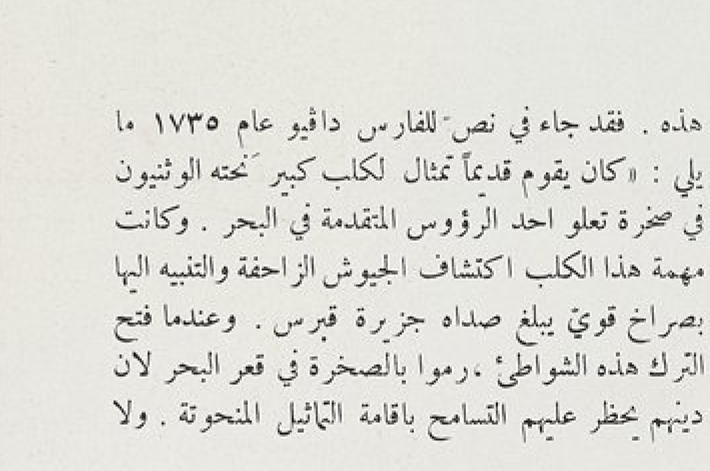
وتطل ايضاً على احدى الهضبات صومعة منفردة تـأوي ناسكاً متعبداً ، لا شك في انه الاخير من النساك، يواصل بأمانة التقاليد النسكية وقد عرفت في الماضي شيوعاً وكثير ازدهار في تلك المناطق.

اما نهر ابراهيم ، المعروف بادونيس ، فبعد ان ينفجر من مغارة افقه بشكل شلالات بهجة المنظر ، يتابع مجراه حتى البحر بسيل متدفق جارف . ولنهر الكلب اسطورة غريبة تشرح تسميته



على طريق برمانا

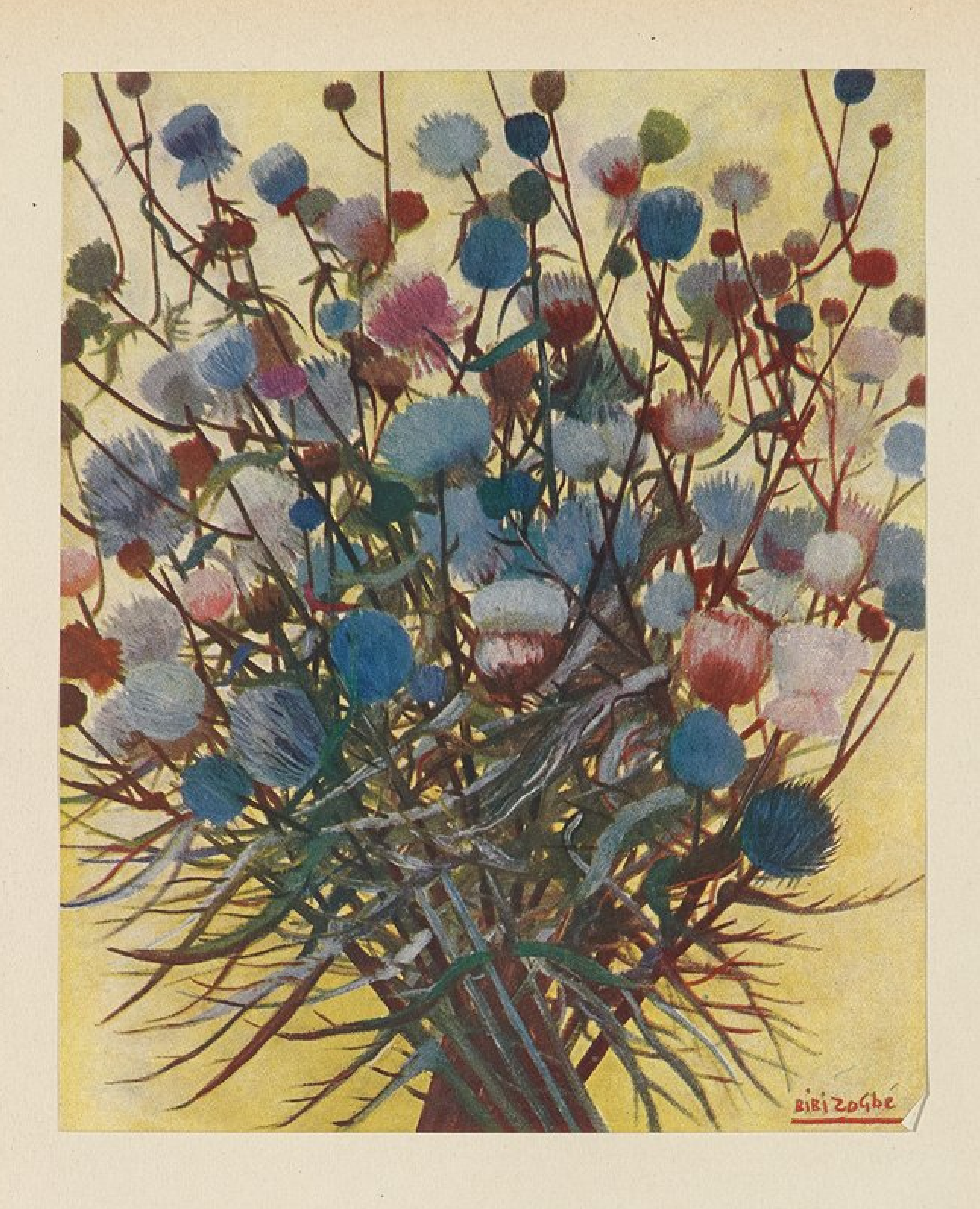
اعداء الجبل الالدّاء



هذه . فقد جاء في نص للفارس داڤيو عام ١٧٣٥ ما
يلي : «كان يقوم قديماً تمثال لكلب كبير نحته الوثنيون
في صخرة تعلو احد الرؤوس المتقدمة في البحر . وكانت
مهمة هذا الكلب اكتشاف الجيوش الزاحفة والتنبيه اليها
بصراخ قويّ يبلغ صداه جزيرة قبرس . وعندما فتح
الترك هذه الشواطئ ، رموا بالصخرة في قعر البحر لان
دينهم يحظر عليهم التسامح باقامة التماثيل المنحوتة . ولا

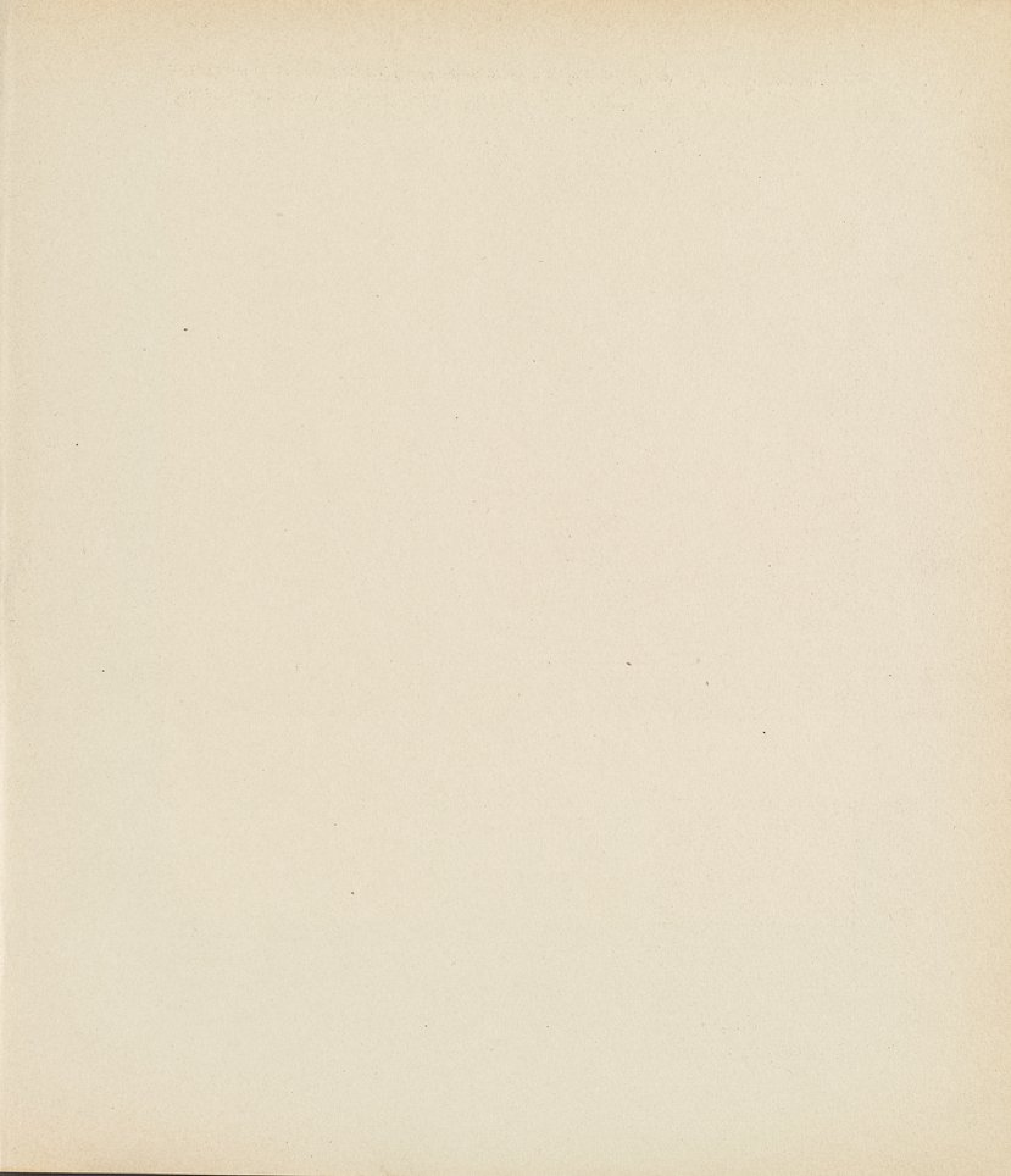


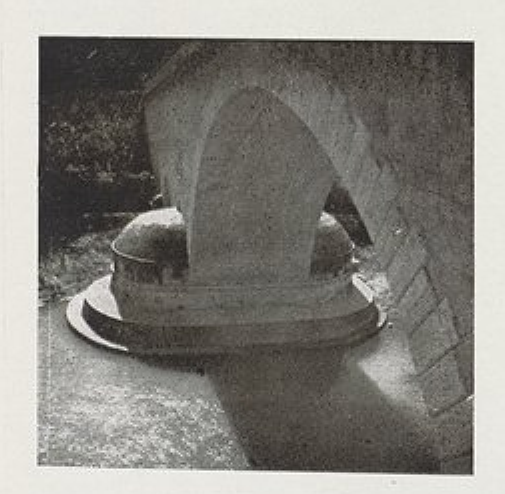
بقايا الثلوج ، ازهار الربيع



« البِلأْزة »

لوحة زيتية بريشة بيبي زغبي





جسر قديم في بتاتر

يزال الكلب يتراءى للناظر عند هدوء الامواج ، غير انه انقطع عن النباح » .

وبين الانهـــار ايضاً : نهر بيروت يرفده نهرا الجعماني والمتن ؛ ونهر الدامور المعروف عند الاقدمين بنهر تاميراس او داموراس ، نسبة للاله داموراس ، والد ملكرت .

لبنان بلد الاعاجيب الفتانة بينابيعه وشلالاته . وفي ظلال الاشجار المنتشرة حول مجاريها ، وبين الخضرة المزينة ضفافها ، ينعكس جمال احد الآلهة او تهيم احزان احدى الالهات .

فسواء زرت المغاور — من مغارة قاديشا حيث مدهشات المياه تولد أسربة من



ينابيع افقه

الآمال الحلوة، الى مغارة افقه السامية تكتنفها الاسرار، الى مغارة نهر الكلب، وقد اجتاز المنقبون عدّة كيلومترات منها على قارب صنع خصوصاً لهذه الغاية—، او صعدت الى نبعي اللبن والعسل الباردين الصافيين، او امعنت النظر في الشلالات المندفقة من نبع الصفا أو من الشيخ جنيد، في عكار، او من جزين، ففي كل مكان يخلب لبك سحرُ المياه ويفتن ناظريك.

قصيدة مرصّعة بالزمرّد متواصلة الانشاد، دهشة



نهر الكلب : الجسر العربي

المسافر لا يكاد يخرج من منطقة الظمأ – اذ الصحراء على مسافة ١٠٠ كيلومتر تقريباً – ، يا لها من طراوة رائعة ترتعش في اعماق مرايا الجبل النقية الصافية. ولعل تجسيم هذه المجاري عدداً كبيراً من الآلهة اكسبها فتنة لا تزال تلازمها حتى اليوم .

فيا مياهاً هادئة تجري في السفوح وفي اعماق الاودية، يا مياهاً صاخبة تقصف الجسور وتدك اساساتها ، يا مياه لبنان الصافية ،العذبة ، الخفيفة ، المنعشة ، تُرى من ينقل الينا الحديث الامثل عن جلال فضائلك ؟ .



شلال الشاغور في حمانا

تمتد الاراضي اللبنانية من جبال طوروس الى خليج العقبة ، وتصل بين حوض المتوسط الشرقي وآسيا الوسطى . وتؤلف هذه المنطقة عقدة من الطرقات ، ومفرقاً للامم ، ونقطة تحوّل سواء في مناخها ونباتها وحيوانها او في سكانها ومدنيتها وتاريخها . وقد كانت مركز التقاء الحضارات اليونانية واللاتينية من جهة ، والمصرية والاشورية والعربية من جهة ثانية .

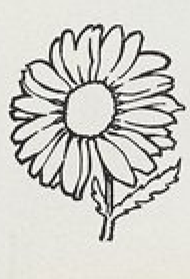
افقه : احد الشلالات



نهر ابراهيم (نهر ادونيس)

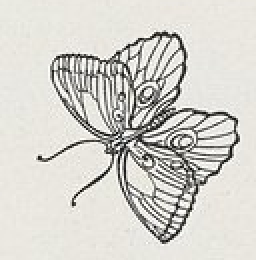
لبنان بلد الينابيع

سيول المياه الشعريّة المهيبة



لبنان علم اعجمي يشتق اسمه من العبرانية «لبنون»، ومعناها الجبل الابيض او جبل اللبن . وهو يحاذي البحر على طول ١٥٠ كيلومتراً بعرض معدله ٨٠ كيلومتراً . اما اعظم قممه ارتفاعاً فهي ، شرقي طرابلس : قرنة السودا (٣١٠٠ متر) ، وهي اعلى ذروة فيه ، وضهر القضيب (٣٠٤٣ متراً) حيث تنبسط على سفحه غابة الارز ، وجبل المنيطرة (٢٨٠٧ امتار) الذي يشرف على قرية العاقورة ، ويتفجر عند قدميه نبع افقه ، وجبل صنين (٢٦٠٨ امتار) الذي ينبع منه نهر الكلب ، وجبل الكنيسة (٢٠٣٠ متراً) ، وضهر البيدر حيث تمر طريق بيروت - الشام ، وهي الحد الفاصل بين لبنان الشمالي ولبنان الجنوبي .

ان مجموعة هذه الجبال الشامخة يقطعها عدد وافر من المهاوي والشعاب والاودية الصعبة المرتقى

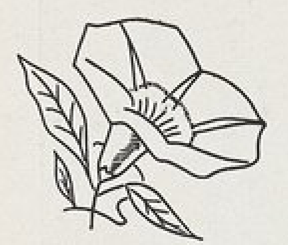


منحدرات وعرة في وادي نهر الكلب

مدخل نهر الكلب

والممرات الوعرة والمغاور العميقة . وهي مؤلفة من سلسلتين متحاذيتين تقوم الواحدة الى الشرق والثانية الى الغرب .

وقد تكون هاتان السلسلتان سلسلة واحدة في الاساس، انشقت منذ فجر التاريخ ، فألفت المنطقة الوسطى منها بانخسافها البقاع ، وهو سهل كثير الخصب ، معدل ارتفاعه ٩٠٠ متر ، ينيف طوله على ١٠٠ كيلومتر ويبلغ عرضه ١٤ كيلومتراً تقريباً ، وهو عماد الثروة الزراعية في البلاد .



وسلسلتا لبنان ، الشرقية والغربية ، تدران الخير والمنفعة على البلدان المجاورة . فالامطار التي تهطل غزيرة على الذرى ، وذوبان الثلوج ، تغذي الينابيع الكبرى في هذه المنطقة . وتجدر الاشارة

الى ان السلسلة الغربية اكثر عمراناً ورقياً من السلسلة الشرقيـة ، وتقع معظم قراها على السفح الغربي ، لانه ابطأ انحداراً من السفح الشرقي ، ويطل على البحر ، ينفعل بتأثيراته الطبيعية من مناخ وحضارة.

اما السلسلة الشرقية فاقل عمراناً ، لكون سفحها سريع الانحدار ، على خط عمودي

البقاع : منظر لبنان الشرقي





تقريباً ، اجرد صخرياً . والسهل الساحلي قطعة من الارض ضيقة لكنهـا خصبة ، معدل عرضها كيلومتران ، وهي تختفي تماماً حيث الجبل يتقدم نحو البحر ، فتصبح الممرات صعبة كرأس الشقعة بالقرب من طرابلس ، ورأس نهر الكلب ، ورأس النـاقورة . وعلى طول

على طريق البقاع

الساحل ، تكثر الرؤوس والنتوءات . وقد اختار الفينيقيون عمداً تلك النتوءات والرؤوس لبناء مدنهم ، ورغبوا بنوع خاص فيما كان منها محاذياً لجزر صغيرة او لصخور ملامسة سطح الماء ، ترد عنها غائلة الرياح ، كما هي الحال في صيدا وصور وطرابلس وبيروت ، وهي اهم هذه المدن .

في اسفل وادي النهر الكبير الجنوبي ، قرب خليج عكار ، ينبسط سهل ساحلي شاسع ، يعود فيظهر عند مصب قاديشا جهة طرابلس ، تغبنه بعض الرؤوس الجرداء ، في منطقة انفه ، وتشقه اثلام عميقة . ومن رأس الشقعة حتى المعاملتين ، تعترض المنطقة الساحلية بتواتر اسناد داخلة في البحر . غير انه يقوم في منطقتي البترون وجبيل سهل صغير من الرواسب يعود عهدها الى الطور الرابع .

اما خور جونيه الجميل الفاتن فتشرف عليه هضبات وعرة ترتدي شكل مسرح روماني مدرج . وعلى



٤ حاصدة السنابل في بلاد « بوعوز »

مهبّ الريح بين السنابل





صناعة البرغل

مسافة قصيرة منه جنوباً ، يبدو رأس نهر الكلب الشهير تشقه طرقات فتحت في عهود مختلفة .
وأخيراً ، يتراءى النتوء الاكثر بروزاً على الساحل ، ألا وهو شبه جزيرة بيروت ، مع بقايا جزر
الحمام من الطور الثاني وما يجاورها من تلال الرمال الحمراء تكتنفها غابة الصنوبر الجميلة . اما سهل
الشويفات وخلده الخصب ، فتعترضه الوهاد والهضاب قرب رأس الدامور ، ثم يعود فيستوي في
بساتين صيدا . وهكذا يستقيم هذا الساحل الفينيقي ، المقسوم الى قسمين عند رأس الصرفند ، على
عرض متواصل معدله كيلومتران حتى مدينة صور ، المنبطحة على صخرة كانت قديماً منعزلة عن
الارض ثم اتصلت بها بواسطة برزخ رملي . وآخر رؤوس لبنان رأس الناقورة وهو يحد البلاد جنوباً .



تذرية القمح على البيدر

ويشق هذا السهل الساحلي مجاري مياه عديدة تهبط من الجبل وتسقي المزروعات البقلية وبساتين الساحل العديدة ، حيث تنمو اشجار الليمون والبرتقان والموز والرمان . وفي الآونة الاخيرة استخدمت مجاري المياه هذه للانتاج الكهربائي .

ان لبنان مجهز اليوم بشبكة كاملة من الطرقات الحسنة ، كلها تقريباً مزفتة تصل بين جميع المناطق ، وتمكن من القيام بدورة في جميع مراكز السياحة في ايام قلائل . ونادراً ما تجد قرية لم يربطها بعد بالاوساط الآهلة العامرة طريق سالك جيد .

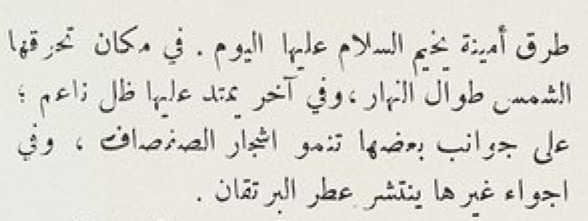
وهناك خطان كبيران اساسيان ، أولها خط بيروت — دمشق وطوله ١١٠ كيلومترات ، والثاني ،



وهو اكثر اهمية من الاول . يمتد من الحدود الفلسطينية في الجنوب ، الى حدود سوريا في الشمال ، مجتازاً كامل اراضي البلاد . وهذا الخط الاخير يحاذي الساحل ايضاً فيصل بين حيفا وطرابلس ، ويستمر حتى اللاذقية .

طرق طويلة شامخة ، تسير مستقيمة نحو مقاصدها هازئة بالعقبات ، تتخللها المنحدرات والجسور والانفاق . منها ، في الماضي ، غزا الفاتحون البلاد ؛ واياها استخدم معظم المحاربين . على احجار مسالكها الوعرة مشت الكتائب الرومانية ؛ وعلى زفتها الأملس سارت جيوش الحلفاء . فهي مبنية للمركبات السريعة والثقيلة معاً ، تسهل الاسفار وتخدم اتساع التجارة .

قطاف الذرة



طرق أمينة تخيم السلام عليها اليوم . في مكان تحرقها الشمس طوال النهار ، وفي آخر يمتد عليها ظل ناعم ؛ على جوانب بعضها تنمو اشجار الصنصاف ، وفي اجواء غيرها ينتشر عطر البرتقان .

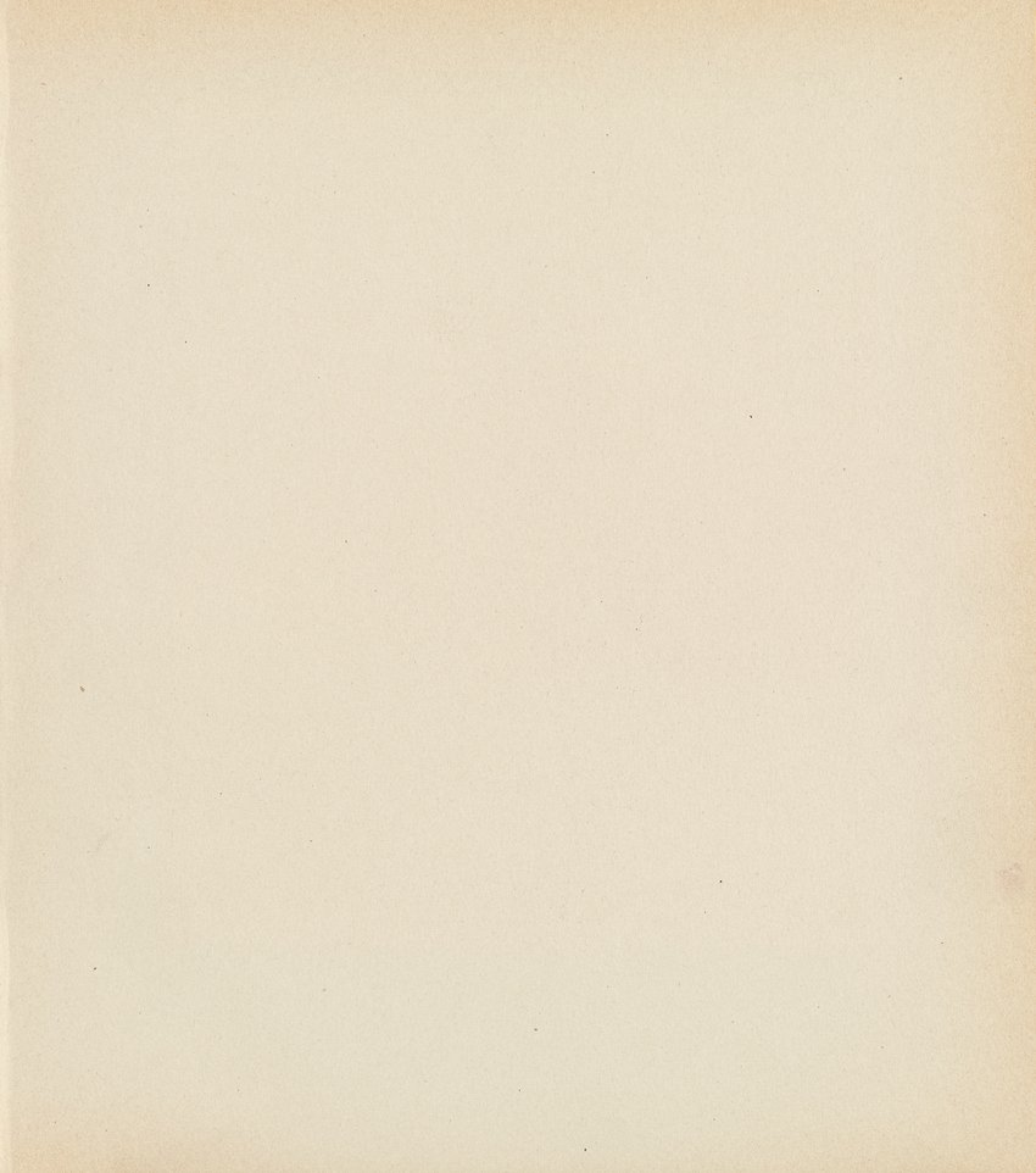
تتسلق هذه الطرق المنحدرات او تحاذي الهاوي فتتلوى عند سفوح الجبال خاصة ، راسمة ، حتى اليوم ، تعاريج تذكر باصلها الوضيع عهد لم تكن الا ازقة ضيقة خططتها اقدام حافية كان دغل العوسج او الصخرة الناتئة اهم العقبات التي تسعى لتجنبها ، وعهد كان الانسان على تفاهم تام مع الطبيعة يراعي كل منهما حقوق الآخر ويتنازل له عن امتيازاته . تجتاز هذه الطرق اراضي البلاد من اقصاها الى





الروضة

لوحة زيتية بريشة عمر الانسي



اقصاها ، واصلة بين جميع اجزائها . وعلى طول منعرجاتها ،
لا تزال الطبيعة محتفظة بجميع حقوقها . فهي تنبت فيها اشواكها
ونجيلياتها الفاقعة ، وتأتي الازهار البرية الآن تعرض فيها حلاها
الزائلة . كتب رينان : «لا شيء يساوي سلسلة جبال لبنان ، في
الخريف وفي الربيع . فهناك هواء عطر يتغلغل في كل حي
وجماد ، وكأنه ينقل الى الحياة شيئاً من خفته ودعته . ومن كل فلقة



... وخرافي تعرفني

دولاب الغزل اللبناني



في الصخر ، تخرج اجمل الازهار طاقات طاقات ، وبينها خاصة بخور مريم الباهر . »

بخور مريم والاقاحي وشقائق النعمان — وقد كرّسها ادونيس زهرة للحب — ، يا لها من لوحة رائعة زاهية يرتجح عليها السوسن والزنبق والورد ، ويا ما الطفه نبعاً دافقاً بالالوان ، تحيط به منحدرات الجبال بلونها البنفسجي او اللازوردي !

لمشهد الصخور المنتصبة على جبال لبنان انعكاسات من النور تختلف بهجة وسحراً باختلاف ساعات

النهار وتعاقب الفصول . فهي تبدو في الشتاء، بوشاحها الناصع البياض، بقعةً من الجمال رائعة . كتب السيد بيريال :

« في هذا البلد من النور ، تفوق فتنةُ الثلوج المنتشرة على قممه فتنتها في البلدان التي تغلب فيها . فهي تكسو الصخور الجرداء ابتسامات عذبة ، وتحوك غشاء من الطهارة على اغصان الشجر ، وتبسط بياضها الناصع على سفوح الجبال الوعرة وتكسب الروابي الخضراء طراوة ونعومة ، وتنشر هالة من الطهر على الذرى . ففي هذا السكون العميق الشامل الذي يسود هذه العزلة البيضاء حيث لا حركة ولا حس ، يتملك المرء شعور فائق الوصف . فأمام ناظريه مشهد خارق الجمال ، منسجم الوضع واللون ، موقّع على نغم طريف موحّد . »

واذا كان لبلدان الشرق طابع خاصّ فهو يتمثل في حقول الثلوج اللبنانية الرائعة التي تستمرّ زمناً



نول الحياكة



اعناب ارض الميعاد

لا يقلّ عن زمن استمرارها في احسن اوساط اوروبا ، وفي الاطارات الفاتنة التي تحيط بها . كان التزحلق بالامس خرافة ووهماً ، فاذا به يصبح اليوم في لبنان واقعاً ملموساً يسير قُدُماً في طريق التطوّر المرموق .

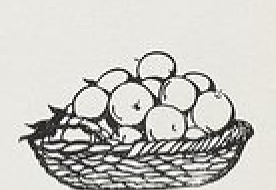


ومما ساعد على جعل الرياضة الشتوية من أهم مشوّقات السياحة الى البلاد ، قربُ الجبال من المدن وبناء الفنادق الفخمة والانزال الوضيعة والملاجئ الامينة ، وفي كلها تتوفر اسباب الراحة والتسلية .

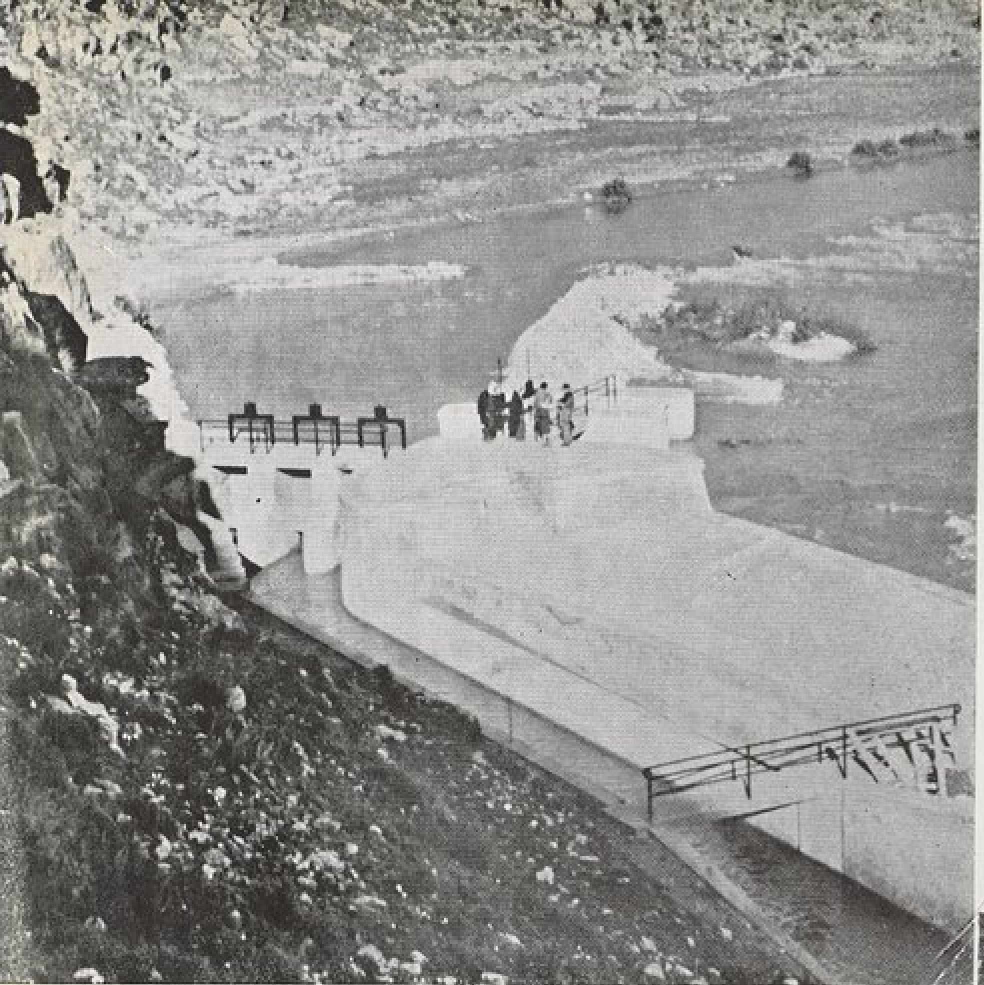
ففي صميم الشتاء ، لا يستغرق انتقالك بالسيارة ، من الشاطئ الى ثلوج ضهر البيدر ، اكثر من ثلاثين دقيقة . وعندما تخفّ وطأة البرد ، تتمكن في زهاء ساعة ونصف ، أن تبلغ مرتفعات صنين وفاريا والقلوق . اما وادي الارز الشهير ، فمنحدراته الجميلة تظلّ مكسوّة بالثلوج الكثيفة حتى

« المازة » التقليدية او المقبلات اللبنانية

الربيع ، يرتادها المتزحلقون من كل صوب . وهم واجدون ايضاً ، حتى نوّار وحزيران ، على انجاد القرنة السوداء ، التي تشرف على هذا الوادي بعلوّ ينيف على ٣٠٠٠ متر ، حقولاً من الثلج تؤمن رغبتهم في التزحلق . والجدير بالذكر أن هذه الجبال الشامخة والسهلة المنال معاً ، تقلّ

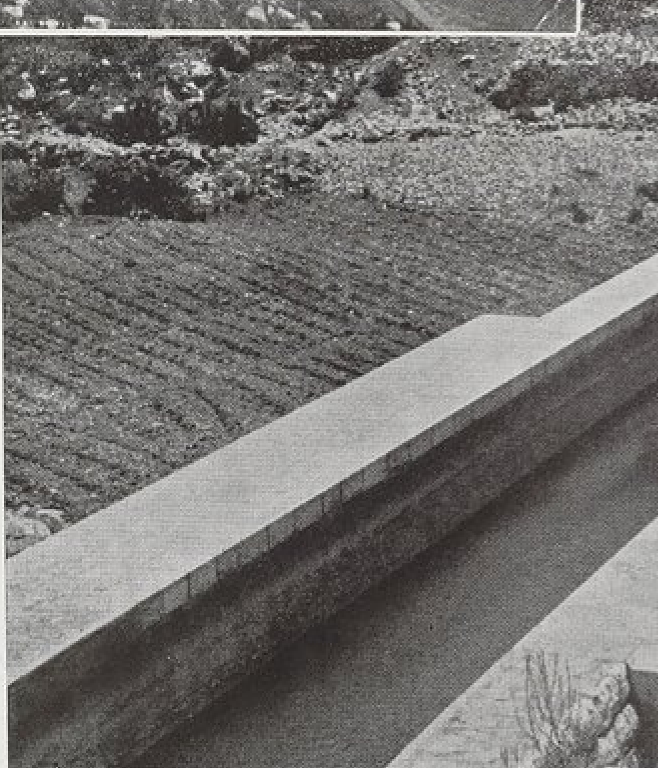


اشجار الرمّان والموز في الساحل



فيها الاخطار بسبب صلابة ثلوجها وندورة انهيارها .

وليس جميع من يرتاد هذه المرتفعات هم من محترفي التزحلق او هواته . فغالباً ما يرافقهم الاهل والاصدقاء قصد التمتع بسلوى الرفقة وبهجة المنظر . فترى الصغار وبعض الكبار يتمرغون في الثلج الرقيق على حافة الطريق ، ويتراشقون بكراته ، ثم يجللون سياراتهم بناصع بياضه، ذكرى لرحلتهم الحلوة الهنيئة .



قناة الريّ في القاسمية



مزيّنة ولكنها تدمي



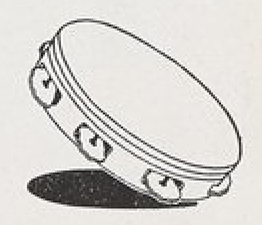
ثمر لذيذ صعب المنال
(الصبّير)

ولا بدّ ، عند الحديث عن المسالك الجديدة والفنادق الفخمة والملاجئ المريحة ، من الاشادة بمبادهة النادي الالبي الفرنسي الموفّقة ، وبجهود جمعية تنشيط السياحة والاصطياف، وبمعاونة الجيش الثمينة ومعاضدة الحكومة الجليلة . فان هذه الاعمال المرموقة، مجتمعة، تدعو الى الامل بدنوّ الزمن الذي سيصبح فيه بامكان لبنان ، بعد تجهيزه التجهيز الصالح ، ان يستقبل جميع ضيوفه ، مهما اشتدّت مطاليبهم ودقّت ، وأن يقوم ، في الشرق ، بالدور الذي تمثله سويسرا في اوروبا .

ولا تقتصر ميزات المرتفعات الشاهقة في لبنان على كونها حقول ثلج رائعة فحسب . وهي لم تكن دائماً جرداء ، شأن قسم كبير منها اليوم . فقد جللتها منذ الازمان السحيقة غابات من الارز شاسعة ، عهد كان الفينيقيون يقطعون منها لبناء سفنهم ، وعهد بدأ المصريون يجلبون من جبال بيبلوس الخشب الناقص عندهم ؛ واستعملها جميع امراء الشرق ، كل في حاجته : فمنها بنى سليمان هيكل اورشليم ، وامبراطرة روما هياكل بعلبك ، والخلفاء سقوف قصورهم .

كان الارز قديماً يكسو الجبل ، فاقتطعته يد الانسان شيئاً فشيئاً . ولم يبق منه الا عدد قليل يعز على جميع السياح ان يزوروه ويخشعوا امامه . وقد ناجاه شارل قرم فأنشد : « يا ارز زهونا ، يا ارز عزّنا ! »

خالدات ارزاتنا ! فهي هنا ، ترفع اذرعها الشديدة نحو الشمس فتنسل اشعتها بين افنانها ،



قاعكار : موكب العروس





وترتدي وشاحاً من الثلج فتبدو كأنها
شماعد جبارة من الجليد تتلألأ عشية ميلاد
سعيد ساحر ؛ هي هنا ، بأصولها المتغلغلة
منذ سحيق الزمن ، في ارض قديمة العهد ،
تجسم لبنان وتكوّن رمزه الخالد . وإليها
دوماً ، يرجع الناس بذاكرتهم ليستلهموا
القوة والحكمة . « واذا ما الشكّ المحزن
حبك حول النفس حجاباً كثيفاً مشجياً ،
أنفخ فيها ايمان داود النبي ، يا ارز الصلاة
والسلام ! » .

(هكتور خلاط)

عكار : مهرجان العيد

عرب اللقلوق

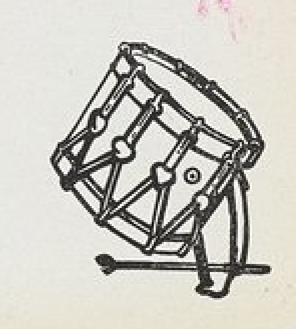
قديماً

كان ارز قاديشا والباروك ، واشجار السنديان والسرو والشوح ، والصفصاف والحور والصنوبر ، احدى ثروات البلاد الهامة ؛ واليوم ، يخالج القلبَ أسفٌ عميق عندما يرى المرء انها لا تكسو الاجزاءاً يسيراً من اراضي لبنان . غير انها ، بالرغم من ندورتها هذه ، لا تزال تكوّن احدى فتن البلاد الرائعة ، ولا سيما الصنوبر ؛ فأغصانه الباسقة ، بلونها الاخضر القاتم ، تتناقض وآجرّ السطوح الحمراء ، فتؤلف زينة بهجة في مختلف القرى ، تتضافر على الزيادة في بهجتها افياء افنانها الناعمة تتخللها خطوط متقطعة من النور ، وارتعاش الارياح بين اغصانها المتضامّة ، وموسيقى الجداجد المتواصلة تسحر الصبية وتدخل في روعهم انهم يستمعون الى الشمس تغني .

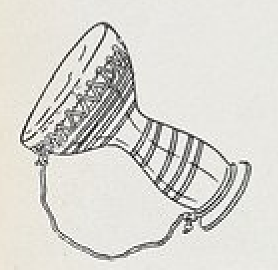


رقص « الدبكه » الشعبي

ومن الاسباب الكبرى في تجريد لبنان من غاباته اليوم ، المواشي ، ولا سيما الماعز . فانك تراها في كل مكان ، بلونها الاسود او الابيض او المبرقش ، تقفز قفزاتها الخفيفة ، متسلقة المنحدرات برشاقة وحدّة ، ساعية وراء مرعاها بين الادغـــال ، منتزعة الاعشاب من قعر الصخور . وكأن غيابها عن الجبال ، حيث تعوّد النظر ان يراها متشرشرة على اكماته ، يفقد الاطار شيئاً من رونقه وجزءاً من صميمه .



المزمار



امّا الاغنام ، وهي اكثر هدوءاً ودعة ، فغالباً ما تشاهدها في الطرق العامة او على جنباتها ؛ ويسود الاعتقاد بأن مصادفتها فأل حسن يطمئن المسافر المتأخر ويبشره بالخير . وهي تُنقل من مدينة الى





لماذا تضايقني ؟





ربة بيت صغيرة

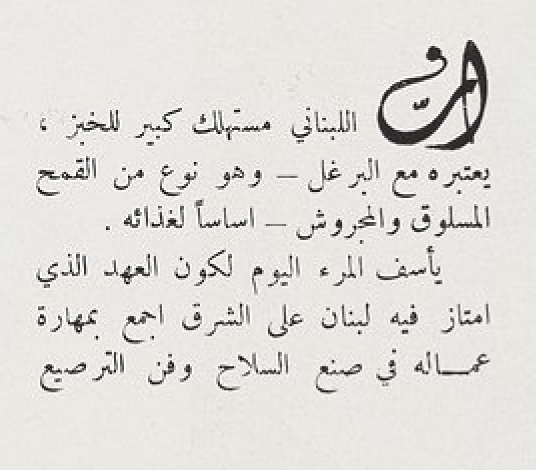
اخرى على مراحل طويلة ، تقطعها رويداً رويداً . وكثيراً ما يمكنك رؤية مئات الرؤوس منها في الحقول بعد الحصاد . ومن مميزات هذه الحقول انها تبدو بشكل ارصفة معجبة ، كان لنشاط الجبليين العنيد ولجهدهم المتواصل الفضل الاكبر في اقامتها . بنوها طبقات متدرّجة تدعى « جلولاً » استثمروا في تربتها مزروعات





في ظل سنديانة التربية

عديدة مختلفة ، وعرفوا كيف يستفيدون من الاراضي المنخفضة في الاودية العميقة ، ومن الجبال المرتفعة ، فجعلوا هكذا خمسَ مساحة لبنان صالحاً للزراعة . وتغلب في السهول ، بسبب خصب التربة ، زراعةُ الحبوب والبقول ، بينما تحفظ الاشجار المثمرة للجبل حيث تعطي انتاجاً ممتازاً . وتحتل زراعة القمح المركز الاول في لبنان ، وبالرغم من ان محاصيلها لا تكفي حاجة البلاد ، فهي تؤمن قسماً كبيراً منها .



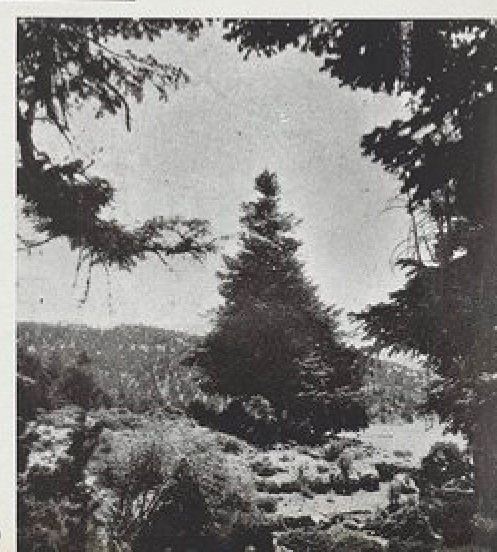
ان اللبناني مستهلك كبير للخبز ، يعتبره مع البرغل — وهو نوع من القمح المسلوق والمجروش — اساساً لغذائه .

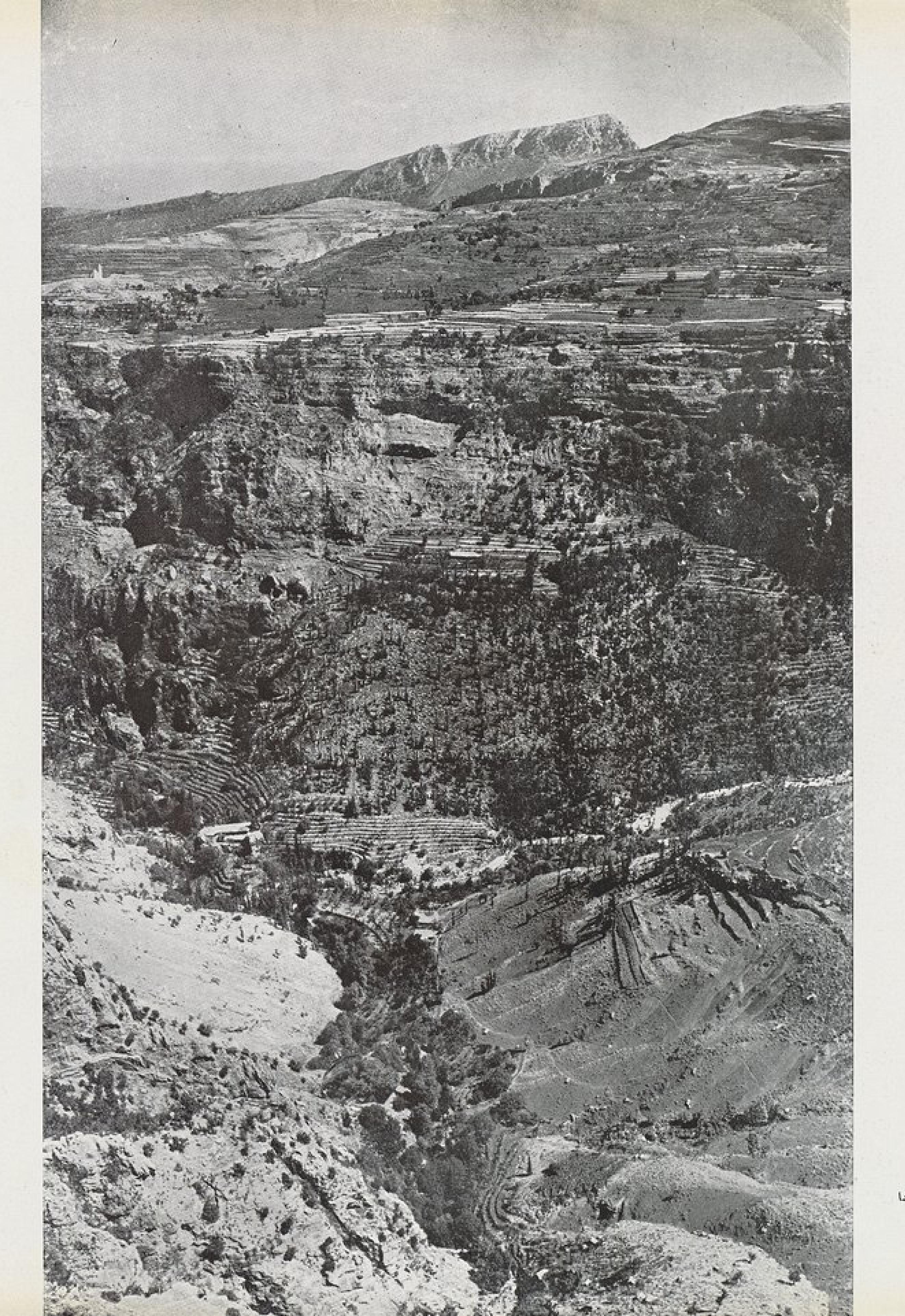
يأسف المرء اليوم لكون العهد الذي امتاز فيه لبنان على الشرق اجمع بمهارة عمـاله في صنع السلاح وفن الترصيع

سهل القموعة

مدخل هضبة التموعة

والفسيفساء والخزف والحياكة ، قد انقضى . غير انه ربما يتعزّى عن تلك
الشهرة الماضية ببعض الآثار الباقية من ذلك العهد ، تنطق بعظمتها . أجل !
لا تزال بعض الصناعات اليدوية قائمة في القرى وفي المدن ، لكنهـا فقدت
كثيراً من عزّها السابق . ومما اضعف انتاجها السهولة التي يلاقيهـا المرء في
المواصلات والتي تمكنه من اقتناء القطع الجاهزة يستوردها من الخارج بأبخس





منحدرات قاديشا
« المدوّخة »



مزار « القيّاب »

الأثمان ، وتقدّمُ الصناعة اللبنانية الحديثة . غير ان ذلك لم يمنع نخبة من السيدات الراقيات من انشاء جمعية تعمل لتنشيط الصناعة اليدوية واحياء الحرف القديمة . ولقد جهزن لهذه الغاية ، في الطبقة السّفلى من بناية المجلس النيابي ، رواقاً رحباً يعرضن فيه الى جانب السكاكين الجزّينية

بشري والارز تحت الثلج

المؤنقة اخواتها المصنوعة في بيت شباب وآنيةً فنية من قصب وقشّ وأنسجةَ الذوق الجميلة وبدائع التخريم تتبارى القرويات ، في ساعات فراغهن ، بعمل الابرة في زخرفتها .

ليس في لبنان تباين ظاهر بين الطبقات الاجتماعية . وانت ان لمست شيئاً من هذا التباين في بعض المناطق ، فهو على طريق الزوال . والمالكون هم ، على وجه العموم ، رجالُ عمل وتجارة . وقد ساعد عدمُ وجود الطبقات وتوزيع الثروات العقارية بين الناس توزيعاً عادلاً ، على اعلاء المستوى الفكري عند اللبنانيين اعلاءً مرموقاً . انّ بيروت ، وأصل معظم سكانها





من الجبل ، تشابه مجموعة المرافئ الكبيرة على البحر المتوسط . فموجة التمدّن الحديث التي تطغى على العالم منذ مطلع هذا القرن تجعل من الصعب تبين الطابع الخاص ببلاد ، لمجرد النظر الى الحياة في مدنها . ومن حسن طالع لبنان ان تكون قراه ، حيث تتجلى الصفات والفضائل التي تميزها من غيرها ، قد احتفظت بتقاليد الجدود التي كوّنتها . وسواء نظرت اليها من الوجهة الاجتماعية او المناطقية او الدينية ، فانت تكاد لا تتبين اي اختلاف بينها . فمنها جميعاً يتفتق عبق النبالة وتشعّ روح العظمة .

ان الحياة فيها بسيطة ساذجة ، غير ان حب التربة عند اصحابها قويّ حارّ . فايمان الفلاح اللبناني بربّه ، واعتقاده بالارض ، ارضه المعطاء ، هما العنصران القويان اللذان يستلهمهما في جميع اعماله .

عشّ النسر في حدشيت

هو حرّ، نشيط ، يعيش تحت سماء صافية وفي مناخ طيب فينطبق عليه المثل المأثور : « عقل سليم في جسم سليم » . وسواء جدّ في العمل او انصرف الى بعض اللهو المريح ، فهو يستنشق دائماً صحة ادبية وجسدية عميقة منعشة .

ويسود العائلة اللبنانية احترام

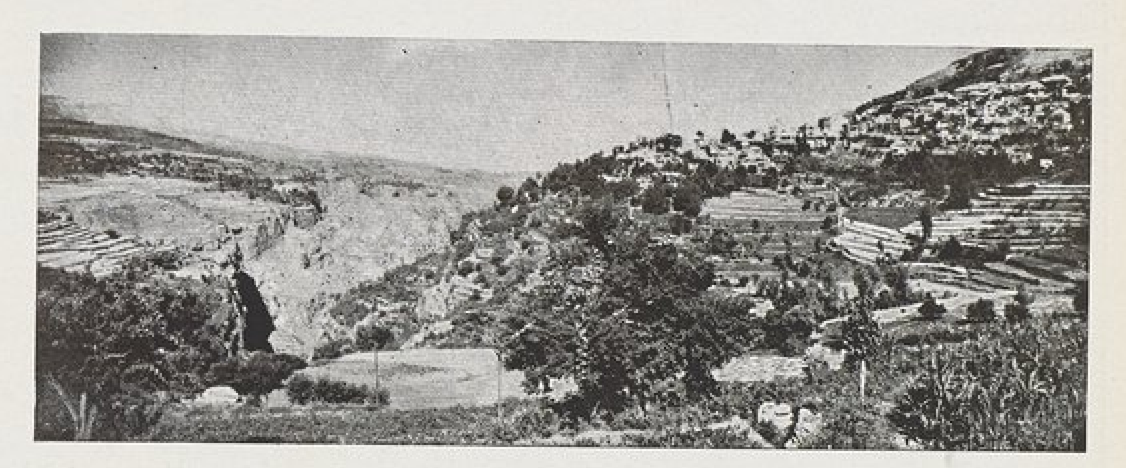


« الجلول » المتمرّجة في لبنان الشمالي



كبير للأب ، يبلغ درجة الاجلال فهو رئيس الجميع بلا منازع ، والأمين الاكبر على عزّ البيت وكريم محتده . وترى جميع اعضاء العائلة الواحدة ، مهما بلغ عددهم ، متحدين بعواطف المحبة الحقيقية والتضامن الوثيق . والعائلة اللبنانية محافظة ، ورعة ، متمسكة بتقاليدها ، تنظر الى الزواج كرابط

زحلة، على منحدرات صنين

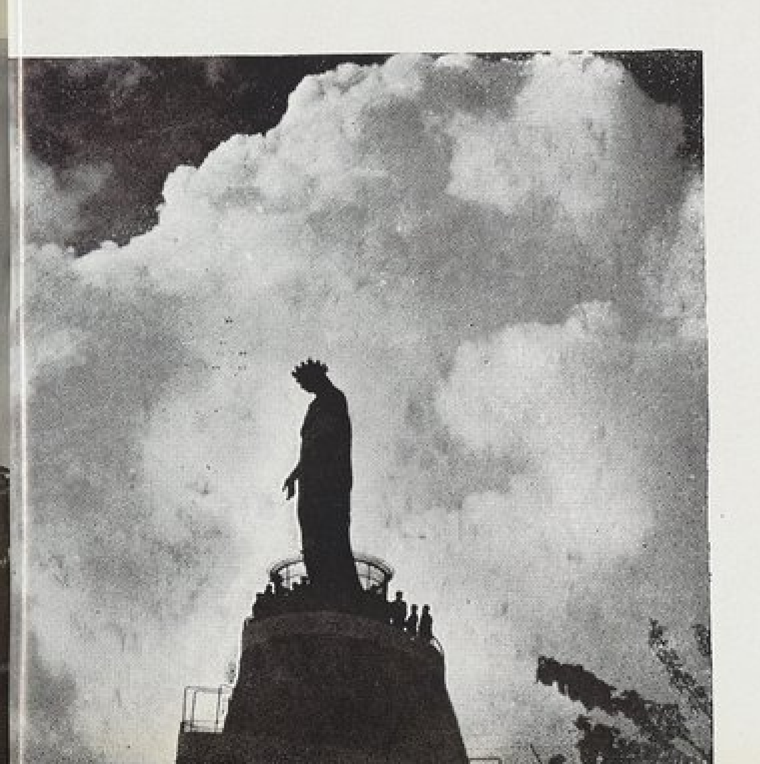


قرية لبنانية صافية : اهدن



ديني محترم . وهذا ما يجعل ، من حدوثه ، مناسبة لاقامة افراح ومسرات تستمرّ احياناً عدّة ايام ، يجري «العرق» خلالها انهاراً وتتعـاقب «المازات» ، في عشرات من الصحون ، ألواناً لذيذة الطعم ، طيبة النكهة ، تفتح القابلية لالتهام المآكل ، وتتصاعد الاناشيد ، وتؤلف حلقات الرقص و«الدبكة» يشترك فيها الجميع فرحين جذلين ، وتُقام مباريات ، بالسيف والترس ، وتفتتح العاب الفروسية فينفسح المجال رحباً لعرض الخيول الجميلة ومعظمها من اصل عربي صافٍ. وليس مستنكراً اشراك البغال والحمير ايضاً

غوسطا وتعرّجات الشاطئ



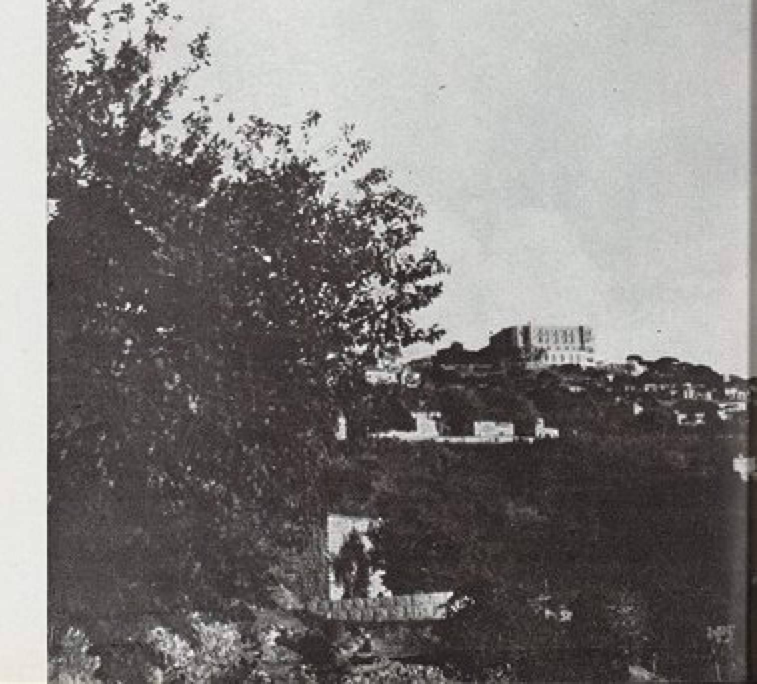
في هذه المناسبات ، تعزية لها عما تؤديه من اعمال السخرة في الايام العادية .

كتب پيار بنوا : « يحمل كل جبل من جبال لبنان عنقوداً من القرى ، يكفيك ان تجلس في اية واحدة منها لتحس انشراحاً في قلبك وانبساطاً في نفسك » . وسنقدّم الآن صوراً خاطفة لبعض هذه المناطق نختارها كيفما اتفق في لبنان الجميل حيث كل زاوية حرية بوصف أكمل وأتم . فهنا القموعة في جبل عكار : سهل واسع اخضر ، تحيط به جبال قفرية تجللها غابات من الاشجار الباسقة والسنديان المعمر مئـات من السنين والصخور الغريبة الاشكال ، ومنه يمتد النظر بعيداً الى الأمام في وحشة تامة وهدوء مخشع . يا له من مشهد عجيب كأنه مقتطع من عالم غير عالمنا .

سيدة لبنان

سوق الغرب من جهة البحر

وهناك اهدن التي قال عنها هكتور خلاط : « انّ مجرّد اسمها يوحي فردوساً ضائعاً » . هي مركز اصطياف شهير ذو مناخ ممتاز ، ترجع الى اقدم العصور . فيها عدّة كنائس ، اهمها كنيسة مار ماما وهي من اقدم الكنائس عهداً في لبنان ، بنيت عام ٧٤٩ ، وكنيسة القديس جرجس وفيها رسوم بيزنطية ونقوش بحروف سريانية قديمة ، والكنيسة الحديثة وهي تضمّ قبرَ يوسف بك كرم ، بطل لبنان الشمالي ، وجثمانه المحنط ، معروضاً في نعش غطاؤه من زجاج . وفي الشمال الغربي من البلدة ، على رابية مشرفة



فندق بيت مري الكبير

على جميع السهول المجاورة وعلى الشاطئ بكامله من طرطوس الى رأس الشقعة ، يقوم معبدٌ صغير لسيدة الحصن ، وهو بناء يرجّح انه كان مخفراً للحرس في العهد الروماني ثم حُوّل الى كنيسة .

و ننتقل الآن من هذه المرتفعات القارسة الى مناخ معتدل تقدّمه لنا سوق الغرب ، البلدة الهانئة بين كرومها واغراس توتها واشجار صنوبرها .

ثم الى حريصا ، تلك القرية الفاتنة وقد عُلقت على قمة منحدرات وعرة محرّجة ، يعلوها تمثال سيدة لبنان الشهير الفخم . رُفع هذا التمثال في نهاية القرن الماضي على قاعدة مخروطية تضم كنيسة وضيعة غير انها مزار لعشرات المؤمنين يفدون اليها يومياً لوفاء نذورهم . وتصعد سلماً خفيفة الانحدار تؤدي بك الى سطيحة على قدمي العذراء ، يطل منها مشهد فريد على خوٍ يعدّ ، بخطه المنحني المؤنق

غابة الارز الكثيفة تحيط بها دارات فسيحة



مركز اصطياف : بُرمانا

قبة الجرس في تعنايل

الذي تغنى به لامرتين وريتان وغيرهما من شعراء وكتاب الغرب ، من اجمل الخلجان في العالم هو خور جونيه .

ولا يمنع صغرُ خليج شكا وقلةُ اشتهاره من ان يكون جميلاً ايضاً ، يزيد في جماله رأس الشقعة نفسه وصخوره الهابطة عمودياً في البحر وقمته التي لا تزال متوّجة بآثار المعابد اليونانية القديمة . وتزيد في رونق هذا المنظر كله الملاحات الممتدة على طول الشاطئ حتى طرابلس .

وقد ساعدت طبيعة الجبال المحيطة بشكا على بناء معمل للترابة مجهز على احدث طراز ، يكفي حاجات لبنان ويزيد فيصدر ما يفيض من انتاجه الى خارج البلاد .

لا تزال الصناعة في لبنان في اوّل عهدها . غير انّ التطور الذي رافقها خلال الحرب الاخيرة يبشر بمستقبل زاهر لها .

صعودا فوق جبيل



: اوتيل طانيوس

عاليه: اوتيل الجميلي

واهمّ الصناعات الحالية الصناعات الغذائية (المربيات والبسكوت والشوكولاته والمعكرونة والحلاوى)، والتقطير (الجعة «البيرة» و«العرق» والنبيذ والمعطرات)، وزيت الزيتون، والصابون، وصناعة الجلد والدباغة والاحذية، وصناعة النسيج (الغزل والحياكة)، والسبك (الاجراس وصناعة المعادن)، والمعامل البحرية، والصيد.

تُستخدم الطاقة الكهربائية في لبنان، ويجري استخدامها على نطاق واسع. غير انها لا تزال دون حاجات البلاد. وقد انشئ مركزان هامان لتوليد الكهرباء من القوة المائية: الاوّل فوق طرابلس على نهر قاديشا — ابو علي، والثاني على نهر الصفا فوق بيروت.

اجمل خور في العالم: جونيه



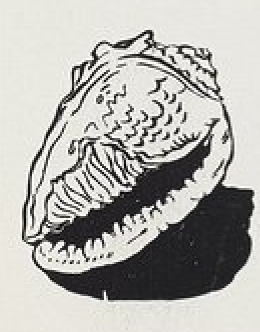


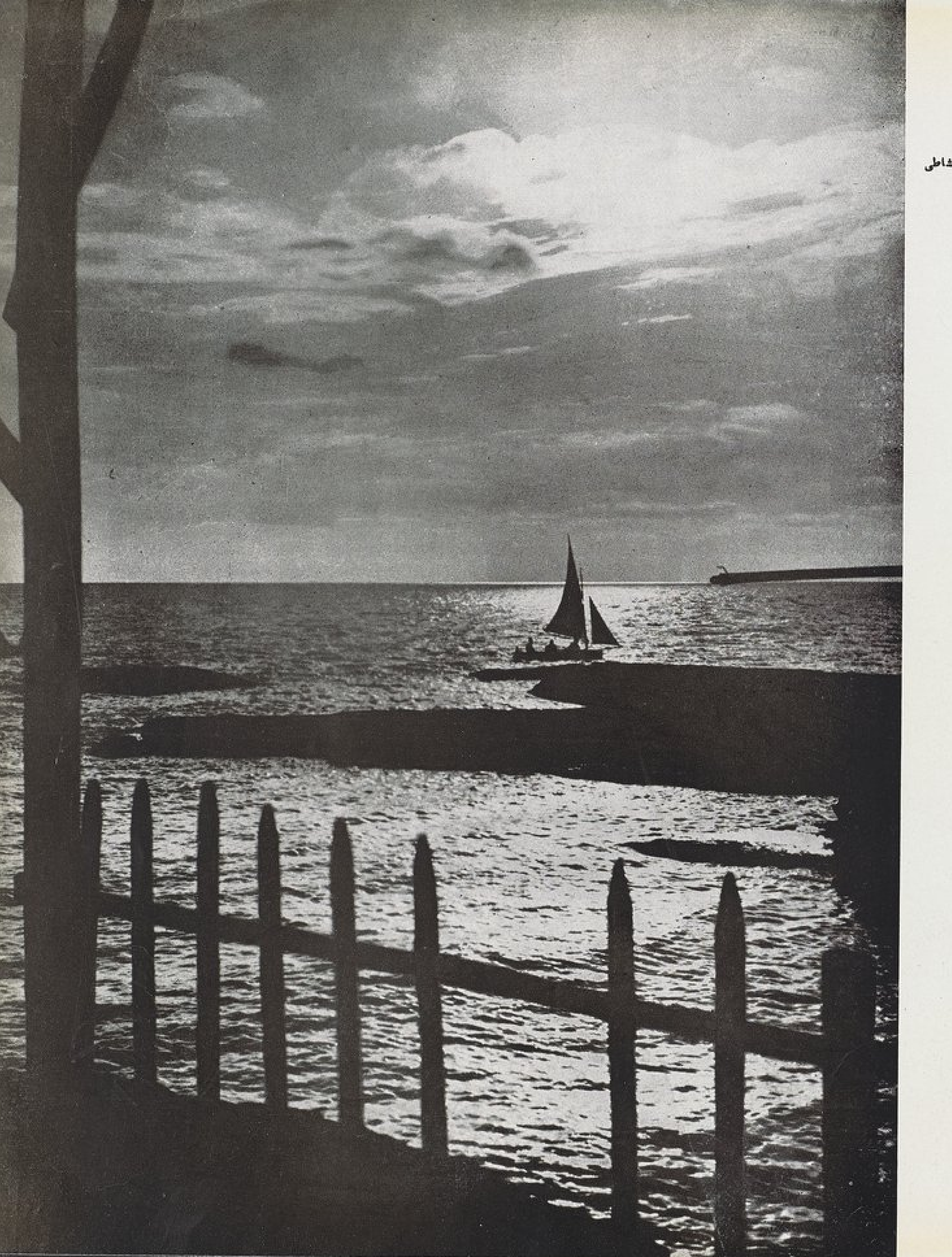
اجل هي أعجوبةٌ حقاً ان تتمكن مياه الشلالات الصافية الشفافة من حصر نفسها في صلابة الاقنية المطبقة دون ان تسيءُ الى الشعر المنبثق من الجبل الشامخ ! وانه لسرّ عميق ان تجتاز خطوط عالية التوتر بلداناً وقرى تحمل اسماء تاريخية مقدسة دون ان تجفف ينابيع الحلم ! تلك الاعجوبة وذاك السرّ من خصائص عبقرية البنـــائين والمهندسين اللبنانيين الذين عرفوا كيف يوفقون بين التصاميم التقدمية الحديثة واحترامهم وحبهم تراثهم القديم الخالد .

إنه لتأليف مدهش يكوّن نجاحه فتنة للعقل وبهجة للعين . وانت اذا ما توجهت من طرابلس على الطريق الساحلية شطر جونيه فدخلت منحنى خورها الشاسع الجميل ، عند دغشة الليل ، تملكك السحر



خليج في طبرجه





مغيب الشمس على الشاطئ
في بيروت

العودة الى المرفأ



من ارتعاش آلاف الانوار المتلألئة على شاشة الجبل المعتمة ، وادركت عندئذ ان الفتوّة الدائمة في بلاد قديمة العهد باستطاعتها وحدها أن تقدّم مشاهد من الصفاء والتناسق في مثل هذه الروعة .

ومما لا شك فيه انّ للطبيعة ايضاً قسطها الوافر في ابراز هذه المدهشات . ويكفيها ان لا تتدخل يد الانسان فتزرع الفساد في تصاميمها لتقدّم للناظر ، على كرّ الزمن ، مصنفاً من الصور كامل الدّقة دائم التجديد . ولعلّ هذا الشاطئ الممتدّ الى ما لا نهاية له ابرزُ دليل على صحة القول . فهو تارة يشابه جوهرة ثمينة عمل في نقشها احد الصاغة المتحذلقين ففصلها غريبة هنا ،وعذبة هناك ، ونافلة هنالك ، ترقد في تعاريجها بعضُ الزوايا المفاجئة وبعض الخلجان الزرقاء في حمىً من تموجات البحر ، وطوراً



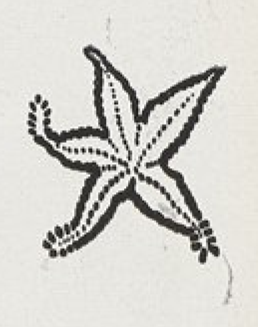
مصبّ نهر الدامور

تراه كالخط الهندسي على بطيحة من الرمل الناعم . تارة يدقّ فيبشّ لك بشاشة العيد باشجار ليمونه الزاهرة ، وطوراً يشمخ فيعبس مهدّداً بصلابة صخوره العمودية . هنا يدعوك الى الغطس الطويل المتكاسل في بحر فاتر هادئ الامواج ، وهناك يرعبك فيه دوران الرمال المتحركة تقطعها المجاري المهلكة .

وفي معرض الحديث عن سحر هذه الشواطئ ، لا بد من الاشارة الى جمال المرافئ . فهي كثيرة التنوّع ، مشكلة المظاهر ، ترى بينها المراسي المطمورة من حيث اقلعت سفن الفينيقيين لافتتاح العالم ، كما ترى ايضاً ابدع التصاميم لأحدث الخلجان التي يمكنها استيعاب اضخم القطع البحرية واجملها .

وفي البحر ، عرض صور وصيدا ، لا يزال هناك قطع صخرية كبيرة جمعت قديماً لتؤلف سدّاً منيعاً يحمي الاسطول من صدمات امواج الجنوب الغربي العنيفة . وعلى طول الشاطئ ، تقوم آلاف من الخلجان الطبيعية الصغيرة يبيت فيها نهاراً العديد من القوارب ، حتّى اذا جنّ الليل اشعل اصحابها الفوانيس واقلعوا بها سعياً وراء الصيد وكسب العيش .

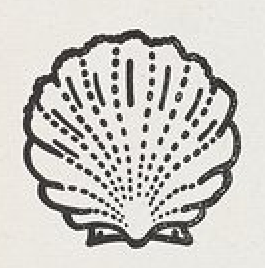
فهذه طبرجه ، المرفأ الصغير الوضيع الذي تتناقل الاجيال انّ بولس الرسول ابحر منه منطلقاً نحو الغرب يكرز بتعاليم الناصريّ . وهذه البترون ، كانت في الماضي نقطة استراحة اجبارية بين بيروت وطرابلس ، غير انها فقدت حظوتها هذه لشدّة سرعة المواصلات . وبعد بعض المنحنيات



مغارة الحمام الشهيرة

رأس صربا

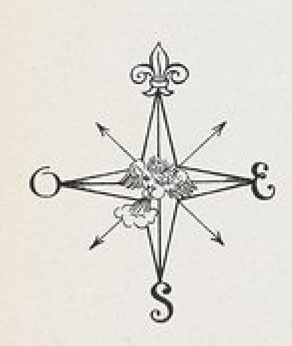
الجريئة ، تدخل الطريق في صخور رأس الشقعة ، وقد دعاه الاقدمون وجه الربّ ، فتقطعها في نفق ينتهي على البحر . وهكذا نعود الى السهول ، فترى اوراق الزيتون تتموّه بفضة الغبار تنثره الصخور الطباشيرية ، وتمتد الاشجار امامك كلها منحنية وجهة الارياح . ولنتمهل في السير ، فهذه اصوات تدعوك للتوقف ؛ ثمّ تطلّ من وراء سياجات الصبار وجوه ضاحكة تعدّل في احمرار لونها ريح البحر اللاذعة . وتمتدّ ايادي الصبية تعرض محاصيل الفصول من باقات لطيفة من شقائق النعمان او بخور مريم ، وسلالاً طافحة بالتين الذهبي أو بالسمك المرجان يفضفض ماء وترتعش فيه بقية حياة .





رأس الشقعة وجه الرب عند الاقدمين

غير انه يحسن الا يحصر المسافر انتباهه بفتنة الشاطئ اللبناني وحده، بل عليه ان يرفع النظر الى المنحدرات فيمتع الطرف بلطف انحنائها نحو البحر انحناء القوافي الناعمة في القصيدة العامرة. ومما لا شك فيه ان كثافة السكان في الجبل اللبناني اكثر منها في اي جبل آخر. فالقرى وافرة العدد تتجمع على القرن الصخرية او تزرع بهجة سطوحها على جوانب الطرقات البيضاء. اما الاديرة القديمة فتراها معلقة بالاماكن الصعبة المرتقى، تضفر على هذا المشهد طابعه الروحي، كما يرمز اليه ايضاً في اماكن اخرى انطلاق احدى المآذن او سحر الاروقة العميقة. وأنى توجهت تجد الكنائس امامك. فلكل قرية كنيستها، وقد تقوم اثنتان في ضيعة صغيرة واحدة. « هي اياها في كل مكان: ضخمة،



مرتبعة لا تعلوها القباب ، تذكرك بالمعابد القديمة وكأنها بنيت بحجارتها . على سطوحها المحادل لرص التراب بعد الامطار ، وفوق اروقتها الاجراس . اما باحاتها فتعج بالطلاب . يقفز الواحد منهم بعد الآخر الى الحبل ، فيختطفه ويتعلق به ثم يأخذ بالترجح . ومن دواعي الافتخار ان يتفوّق على اقرانه بقرع شديد طويل ، فكما أن صراع الثيران من التقاليد الاسبانية ، والملاكمة من التقاليد الاميركية ، هكذا قرع الاجراس من صميم التقاليد في لبنان . وغالباً ما تنظم مباريات في هذا الميدان تنتقل من كنيسة الى كنيسة ومن قرية الى اخرى ومن جبل الى جبل ... اجراس تتساءل فتتجاوب وتتناقل رسائل غامضة لا يفكك الغازها غير الآذان اللبنانية . »

الملاّحات على طريق طرابلس

ليس من السهل تحديد منشأ بيروت فهو يضيع في ليل الازمنة، شأنه في ذلك شأن جميع المدن العريقة في القدم . غير انه لاجدال في ان الانسان اقام فيها منذ العهد الانيوليتي . ثم ازدهرت في العهد الفينيقي واكتسبت شهرة واسعة على يد اليونان والرومان . وان كان ارتفاع البحر والزلازل التي حصلت في القرن السادس قضت عليها تماماً ، فلقد استعادت اهميتها في عهد الفرنجة ، ثم عمل المماليك وفخر الدين من بعدهم على اعلاء شأنها فبذل الامير المعني جهوداً جبارة في سبيل توسيعها وتنظيفها وتجميلها .

ومنذ ذاك الحين ما فتئت بيروت تستعيد مكانتها المرموقة السابقة .

فان موقعها الجغرافي الممتاز ، ومرفأها الواسع ، ومناخها المعتدل : كل ذلك يجعل منها مدينة

طريق الشاطئ

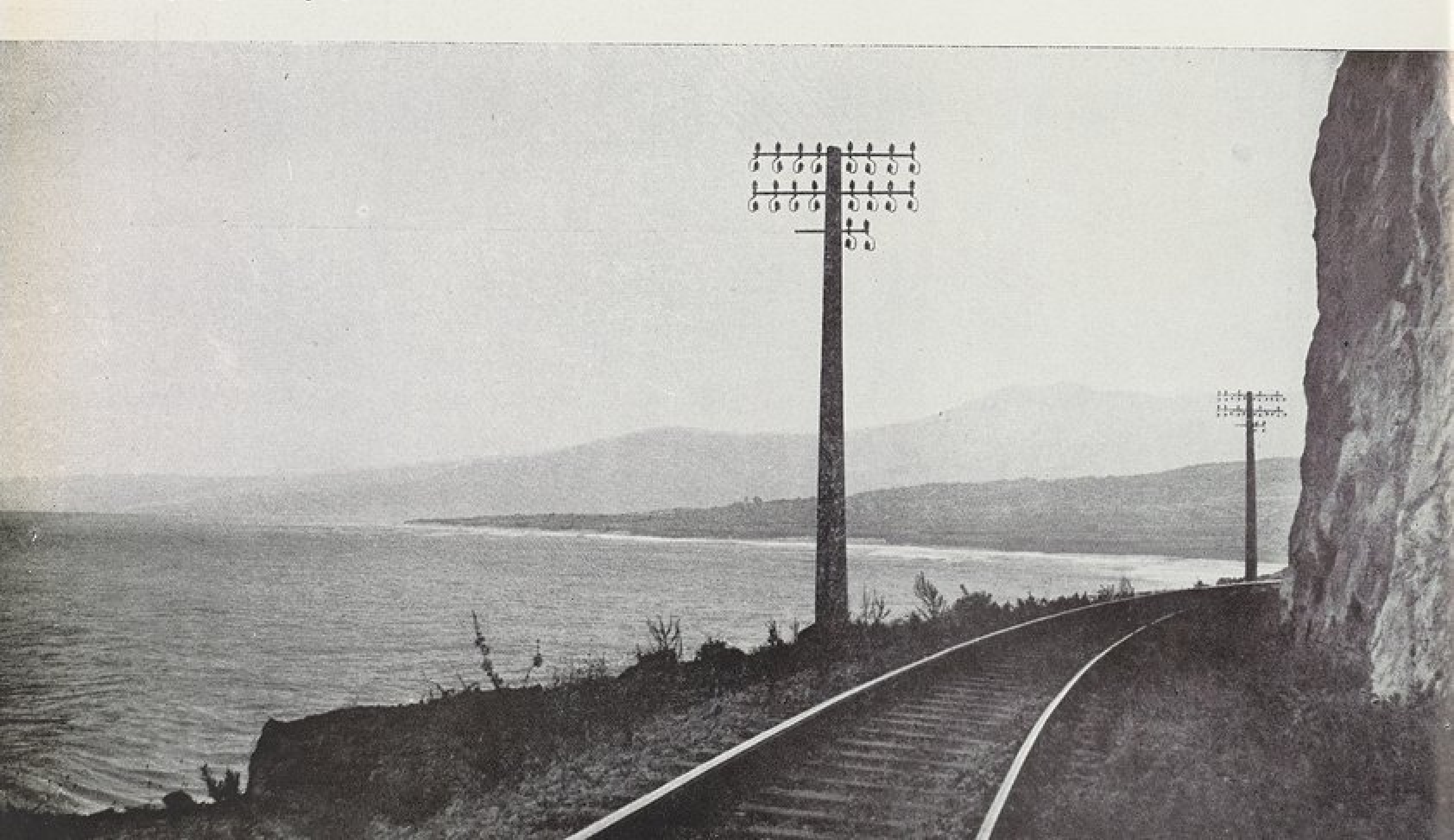


من اهم مدن الشاطئ الشرقي للابيض المتوسط ، ويمكنها من تأمين المبادلات التجارية وتسهيلها بين الشرق والغرب .

ففي بيروت تقوم الادارات العامة للمصارف والشركات من تجارية وصناعية ، من وطنية واجنبية على السواء (سكك حديد دمشق وحماه وتمديداتها ، شركة الجرّ والتنوير ، شركة المرفأ ، شركة المياه ، الخ ...) . وهذا ما يجعل منها مركزاً هاماً لتوزيع البضائع المستوردة من الغرب ، ومنفذاً للمنتوجات المحلية وخطّ مرور كبير .

غير انها ليست عاصمة كبيرة لبلاد صغيرة وحسب . فهي ايضاً ، شأنها في جميع العصور ، مدينة

سكة الحديد من لندن الى راس الرجاء الصالح



عمدة راديو لبنان

جميع التظاهرات الفكرية. فالمؤسسات المدرسية من ابتدائية وثانوية تكثر فيها . والتعليم معمم على الجميع . ومستوى الثقافة مرتفع جداً بالنسبة الى عدد السكان والامية تكاد تكون معدومة .

جسران على نهر الكلب







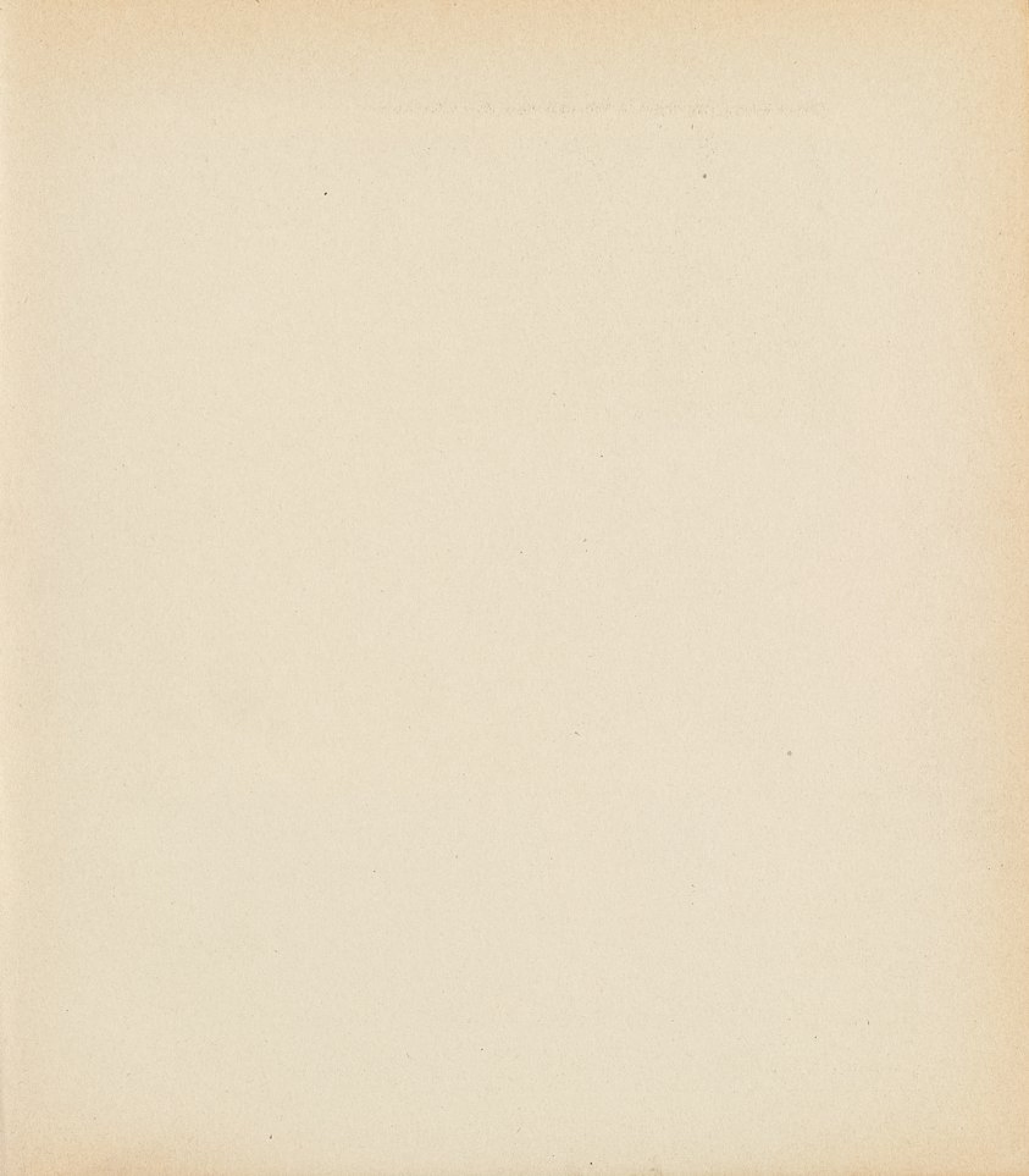
بيروت : المرفأ

زاوية من المرفأ القديم



منظر لبناني على البحر

لوحة زيتية بريشة عمر الانسي





بيروت : المطار

وفي بيروت مكتبتان هامتان تقدّمان للطلاب والباحثين مستندات ومعلومات من الدرجة الاولى عن مختلف المواضيع ولا سيما تلك التي تتعلق بالشؤون الشرقية . فالمكتبة الوطنية تضمّ ، الى جانب المجموعات الخاصّة ، نسخاً مزوقة منوّعة من القرآن الكريم تحبك نقوشها المذهبة حول النصوص شبكة أخاذة فاتنة . وفيها قاعة فسيحة يحاضر من على منبرها ، امام جمهور المستمعين اللبنانيين ، كبارُ الادباء والمفكرين ممن يؤمون بيروت في كل سنة . اما المكتبة الشرقية ففيها ما ينيف على مئة الف مجلد وتحفظ في خزائنها عدة الاف من المخطوطات الثمينة . وهي تضاهي بهندستها واروقتها الجليلة ، وقاعات المحاضرات والدروس ، ولطف رونقها ، ومعداتها الحديثة ، اجمل المكتبات في العالم . اما اكاديمية الفنون الجميلة فقد عهدت الى فنانين شهيرين مهمة تدريس العمار والنحت



الحمام العسكري



زوارق تستريح

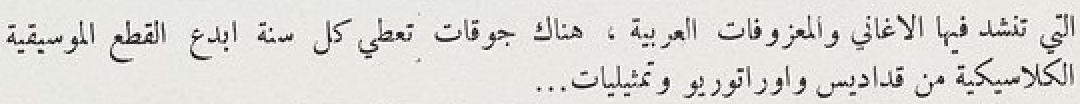
والتصوير والموسيقى بين جدرانها ، فوفد اليها شبان عديدون ، يقتبسون العلم ويغذون مواهبهم ؛ ولعل تسابق النخبة الى افتتاح معارض التصوير فيها ابرز دليل على الاهتمام الذي يولده هذا المعهد البيروتي الفني. وللموسيقى هواتها الممتازون ايضاً. فالى جانب الحفلات البلدية

نشر الشباك





قلاء من الرمال



التي تنشد فيها الاغاني والمعزوفات العربية ، هناك جوقات تعطي كل سنة ابدع القطع الموسيقية الكلاسيكية من قداديس واوراتوريو وتمثيليات...

ولا غرابة البتة في ان تلمس في بيروت ميلاً طبيعياً ماحاً نحو الفكر ، فهي كانت منذ القدم منارة للعقل . وان كانت حرية الرأي التامة ، التي لا تزدهر الا في جو من التسامح الحقيقي ، تتطور هنا او هناك الى اباحة وشذوذ فهي تكوّن، على الاقل، شهادة ممتازة في نضج هذا الشعب المتمرس




البحر الابدي

بالمناقشات البرلمانية والذي يحلّ بحنكة مدهشة أعقد المشاكل التي يجابهها عالمنا الحاضر.

ويصدر في بيروت عدد من الجرائد يفوق ما يصدر منها في اية مدينة اخرى. ففيها ما لا يقل عن ٥٢ جريدة يومية ، والعددُ نفسه من المجلات الاسبوعية. وتساهم الندوات الادبية والمكاتب الجميلة مساهمة كبيرة في نشر الافكار ، فترى فيها دائماً طلاب العلم وهواة القراءة ، يغرفون بنهم من المحاصيل الجديدة للآداب العالمية .



على الشط



ومن مطلع الخريف حتّى اواخر الربيع يمكنك الاستماع باستمرار الى الحفلات الموسيقية ومشاهدة المعارض الفنية . اما الروايات التمثيلية والمحاضرات الأدبية والعلمية فهي تتوافر في شتّى المواضيع ويتسابق الناس الى حضورها ، رائدهم جميعاً المتعة العقلية الرائعة .

وفي فصل الشتاء تُفتح ابواب قاعات الشاي والرقص في فنادق فخمة كالسان جورج والنورمندي ويغشى المطاعم الانيقة العديدة متذوقو المآكل اللذيذة على رنة النغم الطروب والمنظر البهج . والحياة



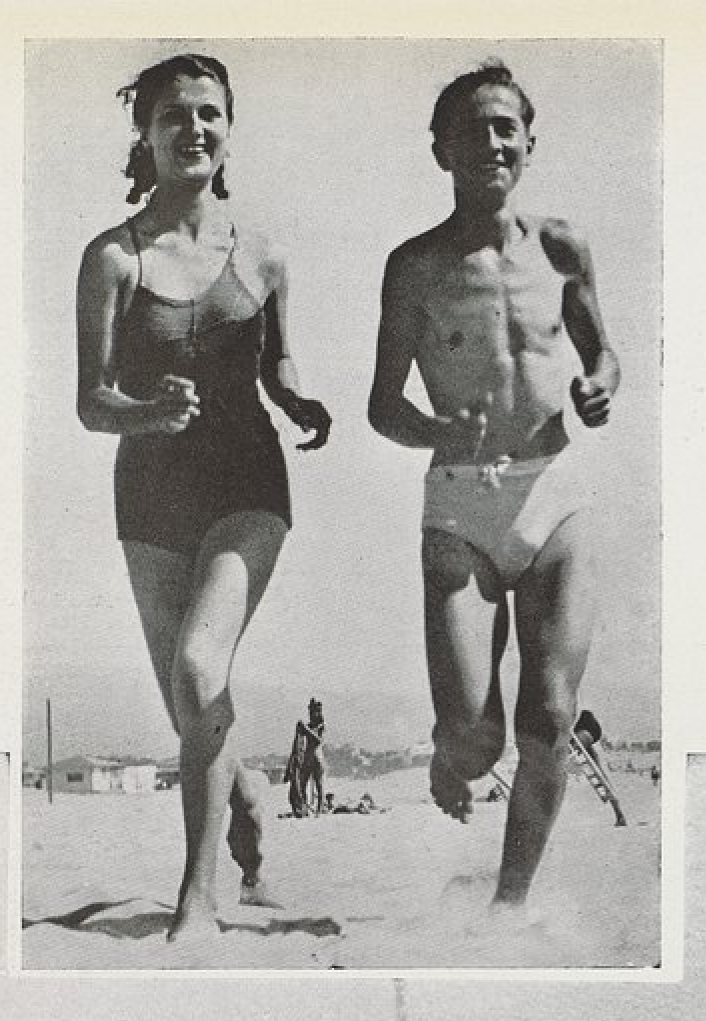
... وعلى الشالوف

الشاطئ اللازوردي





الاجتماعية في بيروت قوية صاخبة . فالاستقبالات الرائعة يعقب بعضها بعضاً ، وبين قاعات السينما الانيقة سباق في انتقاء البرامج واحياء الحفلات الخاصة ، واندية التسلية موزعة في مختلف الاحياء تقرب بين الناس حول موائد « البريدج »



رمال سان سيمون

والمقبلات الممتازة وتفسح المجال احياناً لجمعيات البرّ والاحسان لتقيم اسواقها الخيرية في قاعاتها الحلوة الرحبة .

وانت اذا ما طفت ليلاً في بيروت ، فكأنك تسير في دنيا من الانوار . فالمصابيح الكهربائية موزعة في كل مكان ، والثريات تتلألأ في المخازن والمقاهي ، والاعلانات المضيئة تلفتك لكل خطوة . وان ما تلاقي في الشوارع من حياة وحركة يذهلك في سيرك ويسترعي انتباهك . فانك لامس حواليك

رأس القديس جرجس — والفندق الكبير





سماء عاصفة فوق بيروت القديمة

صخباً وضجيجاً وواجد من المتناقضات الغريبة والتباين الواضح في الالوان ما يولد في ذهنك الحيرة والتعجب . غير ان هذا الخلط الغريب من الالبسة والحركات والوجوه، الذي قد يبدو شاذاً في غير مكان ، ليس مستغرباً هنا حيث تركت المدنيات المختلفة التي تعاقبت على هذه الارض آثاراً لا يمحوها الزمن . ان كل ذلك يؤلف لوحة حلوة منسجمة تدعوك الى التفكير بقدرة الاستيعاب عند هـذا الشعب الذي عرف كيف يحتفظ بطابعه الخاص بالرغم مما تراكم عليه من تأثيرات خارجية .قال ميشال شيحا: « لبنان بلد صغير ، غير ان تاريخه كبير وجغرافيته اوسع من جغرافية هوميروس » .



ميدان السباق

اما البحر فهو درّة لبنان في الصيف ، ومفزع البيروتيين وابناء الساحل في ساعاته الحارّة. فهواة السباحة والرياضة النوتية لا يحصى لهم عدّ ؛ وليس اهنأ للمرء من ورود الشواطئ عند اشتداد الحر والغطس في المياه الباردة . ومن مميزات لبنان ان الطبقة المرتاحة من اهاليه يمكنها الجمع بين لذة الاستحمام في البحر والاصطياف في الجبال ، اذ المدينة لا تبعد عن انأى نقطة منها اكثر من ساعتين.

يمثل الحياة الجامعية في بيروت ويغذي نموّها مؤسستان كبيرتان لكلتيهما تقاليد مرموقة قديمة ،

ومنها تخرّجت النخبة المفكرة في البلاد . فالجامعة الاميركية ، بموقعها الفخم في اول رأس بيروت ، تتألف من مجموعة اثنتين واربعين بناية تتوزع على حديقة واسعة عبقة الاشجار مسترسلة الاغصان ينفسح بينها هنا وهناك بعض الملاعب الرياضية . وهي تضم معهداً ثانوياً وكليات للطب والصيدلة وطب الاسنان ومعهداً زراعياً ودار معلمين ومتحفاً اثرياً يمتاز بمجموعة قيمة من العملة القديمة ومتحفاً نباتياً غنياً بشتّى انواع نباتات الشرق .

اما كلية القديس يوسف ، بادارة الآباء اليسوعيين الفرنسيين ، فتضمّ كليات اللاهوت والفلسفة

بيروت، القصر البلدي





ضهور الشوير :
مقصف فندق قصوف

والآداب والحقوق والطب ومعهد طب الاسنان ومستشفى كبيراً وداراً للتوليد ومختبراً ضد الكلب ومعهد الهندسة العالي . ويُلحق بها المكتبة الشرقية ومرصد كساره والمطبعة الكاثوليكية . ولا بد هنا من التنويه باعمال المرصد في المغناطيسية الارضية وارياح الصحراء او ظل الارض فلقد اصبح مرجعاً بهذه الشؤون . اما المطبعة الكاثوليكية فأُسست عام ١٨٥٣ ، وادّت ولا تزال تؤدي حتى اليوم




زاوية « الجاز »





رقص ملثم

من ليالي الامباسادور

خدمات جلى للغة والآداب العربية . فأمام رُحب هذه المؤسسات الفكرية تحضرنا صرخة باريس تطأ قدماه ارض بيروت : « هذه هي المنارة الروحية للمتوسط الشرقي . »

وفي نهاية هذه الجولة السريعة في تاريخ لبنـان وجغرافيته، وكلاهما انسانيّ ، لا يسعنا الا ان نذكر عام ١٩٤٣ . فهو ، على حداثته ، فائق الاهمية يسجل بلوغ البلاد الى الاستقلال التام . وتلك اللوحة التذكارية المنتصبة في نهر الكلب تعبر بفصاحة وبلاغة عن المغزى التاريخي لهـذا الحدث الوطنيّ الهام .



في معرض الاناقة

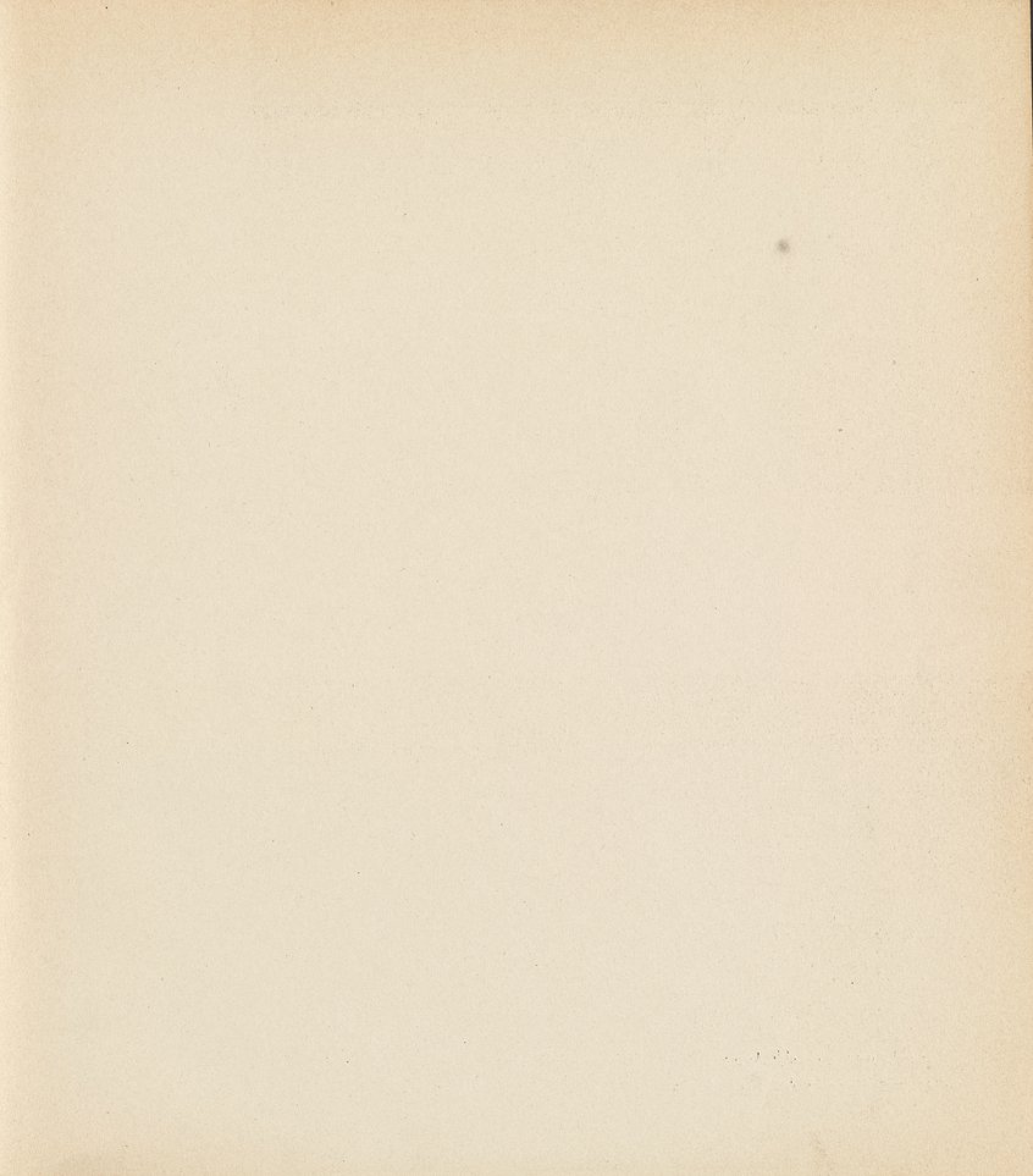


نخبة من المدعوّات الفاتنات



دير مار الياس شوياً – ضهور الشوير

لوحة زيتية بريشة صليبا الدويهي





الاولاد يرقصون

ازياء عام ١٩٠٠
في النورمندي



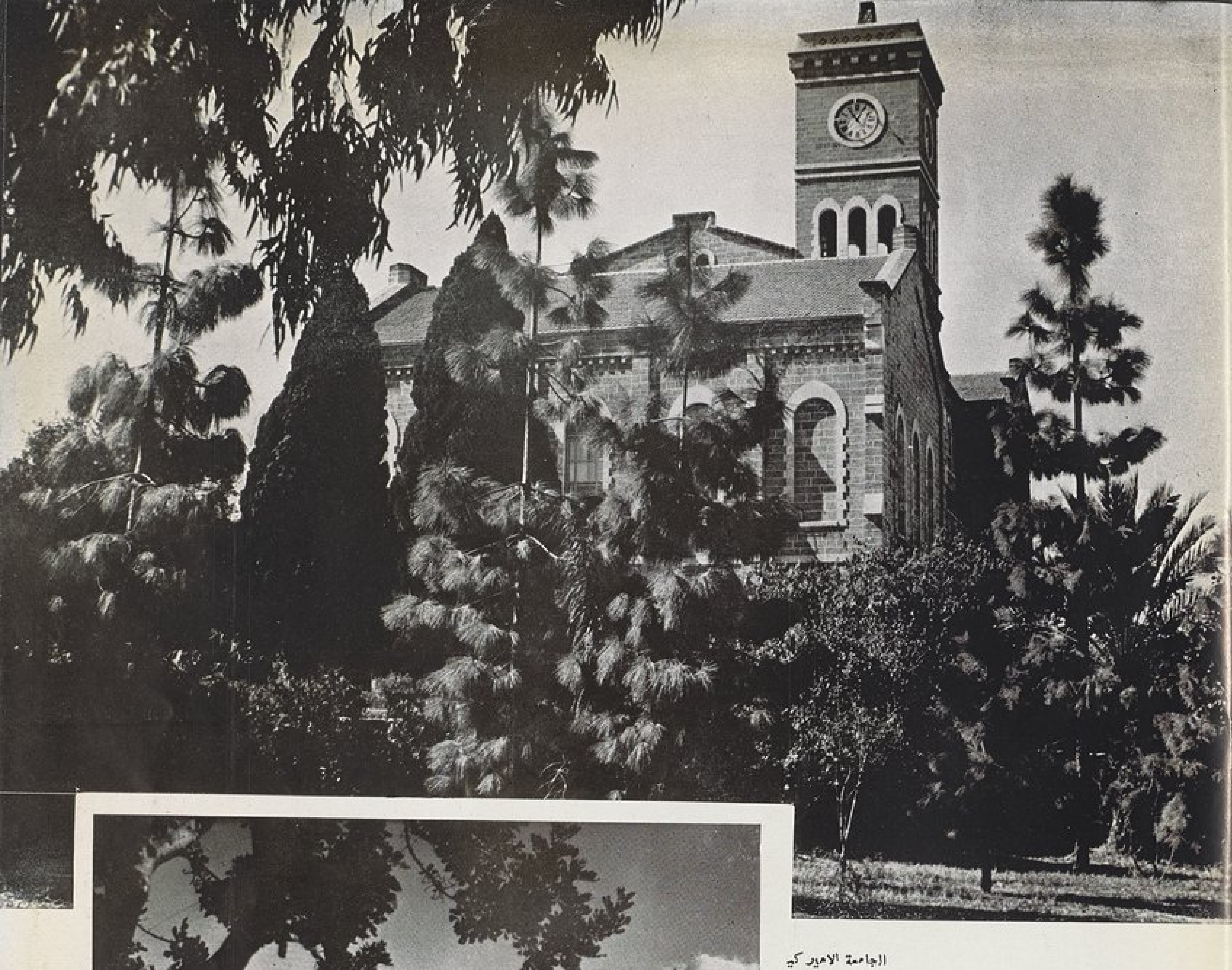
برج السراي القديم



ساعة البلد
والمجلس النيابي



جامعة
القديس يوسف

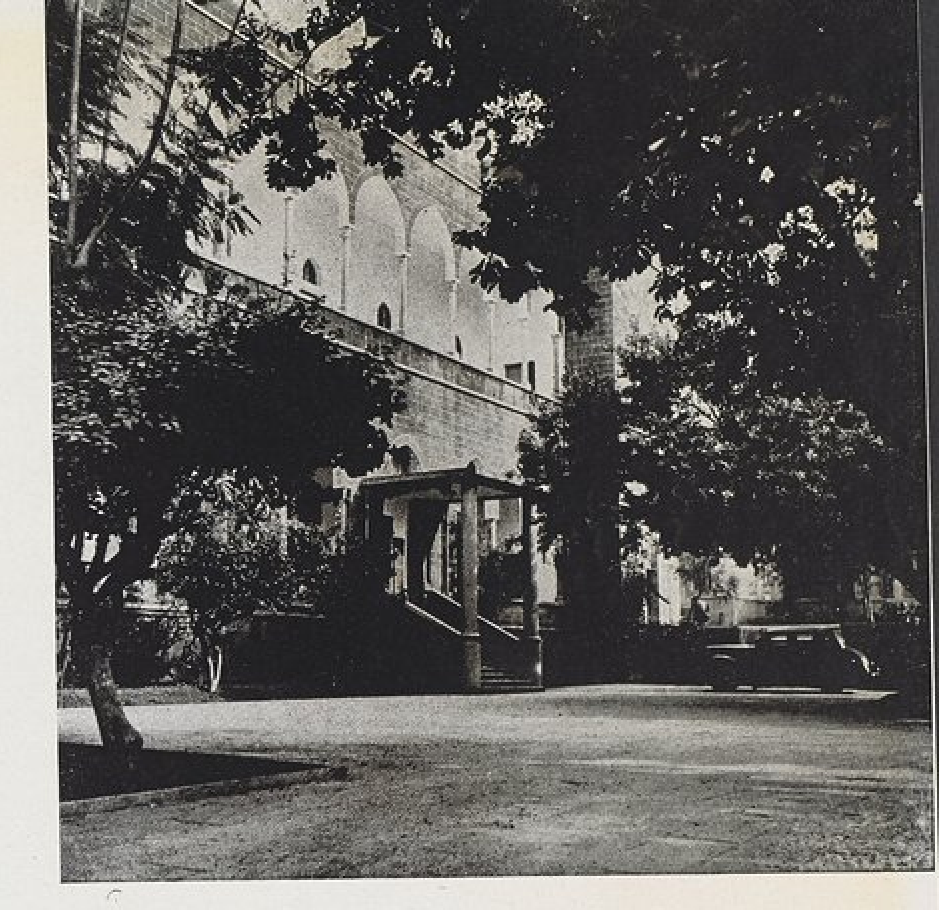


الجامعة الاميركية

فعهدَ لم يكن في لبنان شيء يؤذن بالتحرّر القومي ، تنبأ به كاتب فرنسي يدعى سان مارك جيراردان وناداه بجميع تمنياته فكتب في « مجلة العالمين » عام ١٨٥٨ : « ان الأمة التي تنتظر تحديد مصيرها

من غيرها لا تتمتع باستقرار دائم ، اذ ليس للشعوب من خلاص الا الخلاص الذي ينالونه على ايديهم . » اجل ! الحرية لا تمنح ، بل تؤخذ اخذاً .

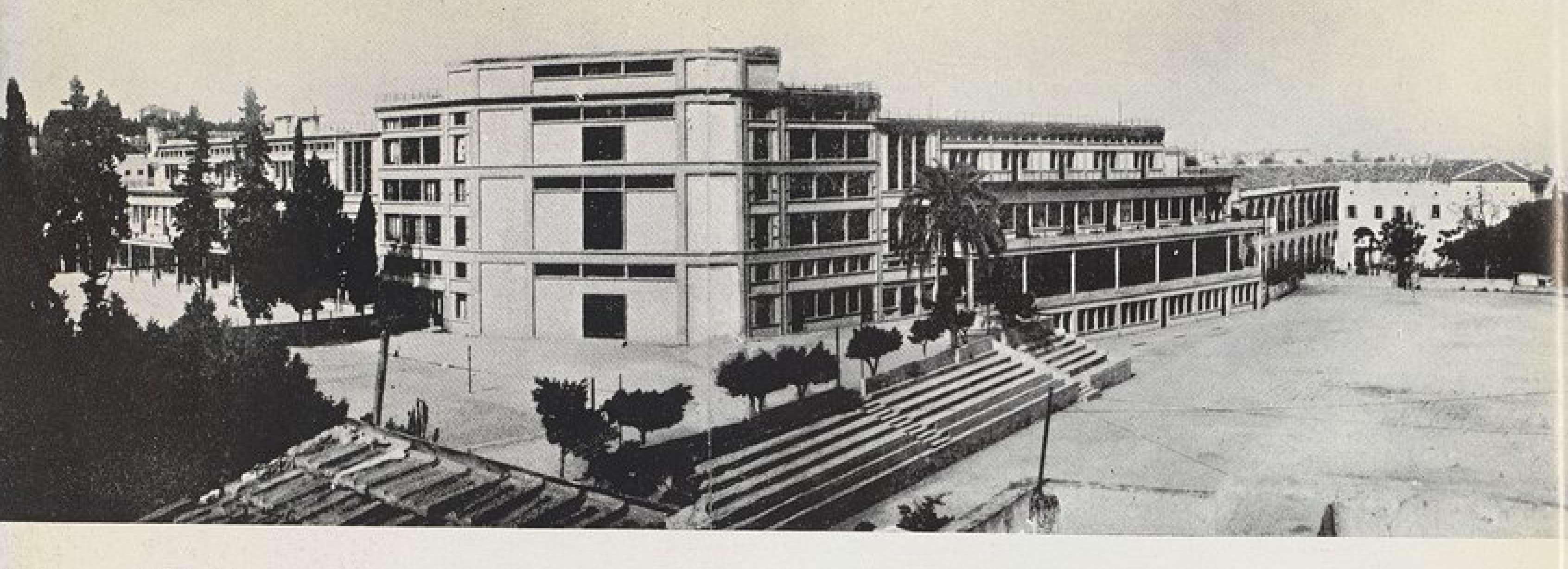
هوذا اذن هذا البلد الصغير امام مصيره . فلبنان « ارض الذكريات الملأى بالبذور » كبير بما ورث شديد الحرص عليه . فهو يعلم حق العلم انه ما من تعويض عن الأشياء الجميلة الحلوة اذا فُقدت . غير انه يعرف ايضاً ان الماضي ماض وانه يجدر بالمرء الا يعيش على الذكرى ، بل ان ينظر الى المستقبل . فبمَ سيأتي العالمَ غداً ؟ اجل ! ان حكمته تمنعه



مدخل مدرسة الناصرة



حديقة الاطفال في المقاصد الاسلامية



معهد الحكمة

من الحلم بفتوحات واسعة ، غير ان عزته تميل به الى دوام الطموح . في الحلقات الدولية يرتفع صوته قوياً متزناً ، فيمتلك الناس عجبٌ من اخلاصه وصفائه ويحسون عذوبة الينابيع في خلجاته . هو موضوع حماسة ومحبة عند جميع الشعوب ، فتراها تحبك حوله هالة من العطف والرفق يرسلها بدوره اشعاع نور وهداية . « لبنان ، طيبُ الحياة وحسنها » ... هذه هي دعوته : أن يعطي العالم امثولة يصم اذنيه عنها اليوم ويكاد يموت لانه لا يسمعها ، تنحو به برفق ومحبة الى التفاهم المتبادل ... أن يكون موطن الالفة والتضامن والتآخي.

الكلية العاملية



•منتصبة عادلة
في السماء المتلبدة



« لبنان » ... هذا الاسم الذي لن تمحوه امواج العالم



نشرت
هذه المجموعة
في لبنان، لمناسبة
انعقاد المؤتمر الثالث الدولي
للاونسكو، وتم طبعها في المطبعة
الكاثوليكية ببيروت، في السابع عشر من
تشرين الثاني، سنة الف وتسعمئة وثمان واربعين

واشترك في تحضير هذا الكتاب العمال الاختصاصيون
في محترفات الرسم، والتلوين، والحفر والتنسيق
والتجليد في المطبعة نفسها. واهتمت
مكاتبها الفنية بوضع النصوص
واعداد الصور الفوتوغرافية
تصميم واخراج:
رافت

وساهم في هذا العمل قدم معالي الاستاذ
حميد فرنجية وزير الشؤون الخارجية والمغتربين
والمصورون اللبنانيون وهواة عديدون
وثائق قيمة وصور كبيرة الاهمية.

